التشبيهات والاستعارات الزراعية والملاحية
في محاورة "عن الشيخوخة" (De Senectute) لشيشرون

أ. م. د. / جمال الدين السيد أبو الوفا
كلية الآداب – جامعة المنيا

Abstract

Agricultural and Navigational Similes and Metaphors in Cicero's " De Senectute "

Cicero's work "On Old Age" (De Senectute) contains many similes and metaphors, both in defence of old age, for its lack the vigor of youth, physical lust, and approaching death. Cicero made many analogies, such as comparing the weight of old age and its troubles to heavy loads, or comparing human life to the acts of the play, and that old age is the last one of that play. The researcher limited his study to similes related to agriculture and navigation. He used the analytical method in every paragraph he extracted from Cicero's work "On Old Age", whether these paragraphs are related to similes or metaphors. It has been found that it is difficult to limit the research to metaphor only, but it must include simile beside metaphor because metaphor is taken from simile and it is originally simile, and also because there are paragraphs that include simile and metaphor as well.

الملخص:

تحتوي محاورة شيشرون "عن الشيخوخة" (De Senectute) على العديد من الفقرات التى تحتوي على التشبيه والاستعارة، وذلك سواء في سياق الدفاع عن الشيخوخة نظرًا لافتقارها إلى حيوية الشباب والرغبة الجسدية وقربها من الموت. يقدم شيشرون الكثير من التشبيهات كتشبيه وطأة الشيخوخة ومتاعبها بالأحمال الثقيلة، أو تشبيه عمر الإنسان بالفصول المسرحية، وأن الشيخوخة هى الفصل الأخير من دراما الحياة. وقد قصر الباحث هذه الدراسة على التشبيهات المرتبطة بالزراعة والملاحة، واستخدم **المنهج التحليلي** في تحليل الفقرات سواء التي تحتوي على تشبيه أو استعارة؛ هذا وقد وجد الباحث أنه من الصعب أن يقتصر البحث على الاستعارة فقط،

بل يجب أن يشمل أيضًا التشبيه بجانب الاستعارة، لأن الاستعارة مأخوذة من التشبيه، لأنها في الأصل تشبيه، وأيضًا لأنه توجد فقرات بها تشبيه واستعارة معًا.

مقدمة:

تُعد الاستعارة من المباحث البلاغية الثرية، ويرجع اهتمام الباحث بهذا الموضوع إلى أهمية الاستعارة في عملية الإبداع والخلق اللغوي، ونظرًا لأهميتها فقد وظفها أديب عظيم مثل شيشرون لما تتمتع به من خصائص تكسبها موقع الصدارة بين فنون البيان.

كتب شيشرون محاورة "عن الشيخوخة" عام ٤٤ق.م، وهذا العمل الأدبى في حقيقته دفاع عن الشيخوخة؛ وهو على هيئة حوار تخيلي[١] بين كاتو الأكبر. **Cato Maior** (٢٣٤- ١٤٩ق.م) في شيخوخته وهو الشخصية الحوارية الرئيسة، وضيفيه سكيبيو الأفريقي **Scipio Africanus**، ولايليوس **Laelius** في عام ١٥٠ق.م (أي قبل وفاة كاتو)، وهذان الضيفان قد حضرا لزيارته، ثم وجها إليه بعض الأسئلة عن الشيخوخة، فأجابهما "كاتو" الشيخ مدافعًا عنها ومادحًا إياها، لأنها – في رأيه – ليست عبئًا ثقيلًا يصعب حمله، بل هى –على العكس– لطيفة، وقد قصد شيشرون بهذا العمل أن يسري عن صديقه الحميم أتيكوس **Atticus** الذي أهدى إليه هذه المحاورة، وكذلك عن نفسه، بعد أن بلغ من العمر اثنين وستين عامًا في حين كان عُمر أتيكوس خمسة وستين عامًا.[٢]

---

[١] أثرت هذه المحاورة التخيلية التى كتبها شيشرون فى أعمال أدبية لاحقة، مثل المحاورة التى كتبها المؤرخ تاكيتوس (٥٦–١١٣م) وتحمل عنوان "محاورة عن الخطباء" (Dialogus de Oratoribus)، وهى محاورة تخيلية تدور بين الشاعر ماتيرنوس والخطباء الثلاثة أيبر وميسالا وسيكوندوس، انظر: أحمد عتمان (١٩٩٠)، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري. العصر الفضي، ط١، أيجيبتوس، القاهرة، ص٢١٤ وما بعدها.

[٢] أحمد عبدالرحيم أبو زيد (١٩٩٤)، عن الصداقة لشيشرون، مهرجان القراءة للجميع، (مكتبة الأسرة)، القاهرة، صص ٣٩–٤٠.

ويمكن أن يُسمى عمل شيشرون "عن الشيخوخة " باسم "كاتو الأكبر عن الشيخوخة **Cato Maior de Senectute** "، لاسيما وأن شيشرون تقمص شخصية الشيخ الذي حافظ على وقاره ومكانته، ووجد فيه الماضي النموذجي. وتبدو صورة كاتو في هذا العمل أكثر رقة ودماثة من الصورة المعروفة عنه تاريخيًا كريفي سابيني فظ، فقد تحول إلى راعي مهذب للسلوك الإنساني الراقي **humanitas** وهو يفضل ما هو جميل على ما هو مفيد، وفي شيخوخته نرى تناغمًا بين استغلال وقت الفراغ **otium** وبين المشاركة في الحياة السياسية، وهما أمران متعارضان، وقد فشل شيشرون في التوفيق بينهما في حياته العملية، يُضاف إلى ذلك أن شيشرون يُعبر في عمله هذا عن المرارة التي يشعر بها كل من يصل إلى سن الشيخوخة، وذلك بسبب تدني حالته الصحية وشعوره بقرب الأجل.[٣]

وقبل الخوض في البحث يجب أن نتعرف على التشبية والاستعارة عند علماء البلاغة العرب، وعند نظرائهم اليونانيين والرومان.

أولًا– الاستعارة عند علماء البلاغة العرب

يقول السكاكي إن الاستعارة في الأصل مأخوذة من التشبيه، وإنها ليست سوى تشبيه حُذف أحد طرفيه. أي أن التشبيه هو الأساس الذي تُبنى عليه الاستعارة، فهى "تعتمد على إدخال المستعار له (المشبه) في جنس المستعار منه (المشبه به)".[٤] ويعرف الجاحظ الاستعارة ويقول إنها "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه".[٥] كما يعرفها عبد القادر الجرجاني على أنها "ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل والتشبيه".[٦]

---

[٣] علي عبد التوب علي، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتيني في عصري الجمهورية وصدر الإمبراطورية، قراءة في الأجناس الأدبية، القاهرة، ص ٢٣٩.

[٤] السكاكي (١٩٩٠)، مفتاح العلوم، مكتبة البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ص١٥٧.

[٥] الجاحظ (١٩٩٨)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ج١، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص١٥٣.

[٦] عبد القادر الجرجاني (١٩٨٩)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٢٩.

ومن خلال التعريفات السابقة لعلماء البلاغة العرب يمكن القول إن الاستعارة في اللغة هى طلب الشيء واستعارته ونقله أو تحويله من مقام إلى مقام.

والاستعارة كاصطلاح البلاغي هى استعمال اللفظ أو الجملة في غير معنيهما الحقيقيين لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي وبين المعنى المجازي، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي الأصلي.

ويمكن القول في تعريف الاستعارة إنها تشبيه حُذف أحد طرفيه (المشبه أو المشبه به)، فإذا ذُكر المشبه، وحذف المشبه به وكُنى أو رمز إليه بشيء من لوازمه أو صفاته، سُميت استعارة مكنية. فالاستعارة فيها مخفية؛ وإذا حُذف المشبه وصُرح بالمشبه به، سُميت استعارة تصريحية. فالاستعارة فيها ظاهرة، ولابد في الاستعارة من حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، ولابد أيضًا من تناسي التشبيه، وادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، حتى تكون الاستعارة حسنة وبليغة.

التشبيه البليغ: هو التشبيه الذي يوجد فيه المشبه والمشبه به، ويُحذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه.

التشبيه المجمل: هو التشبيه الذي يوجد فيه المشبه والمشبه به وأداة التشبيه، ويُحذف منه وجه الشبه.

التشبيه المؤكد: هو التشبيه الذي يوجد فيه المشبه والمشبه به ووجه الشبه، ويُحذف منه أداة التشبيه.

وعلى ذلك **فإن الاستعارة في الأصل تشبيه حُذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه.**[٧]

فإذا قلنا مثلًا (هذا الرجُل كالبحر في الكرم)، فهذا المثال به طرفا التشبيه المشبه وهو الرجُل، والمشبه به وهو البحر، والكاف أداة التشبيه، ووجه الشبه في الكرم، ولو حذفنا أداة التشبيه ووجه الشبه. فنقول (هذا الرجُل بَحرٌ)، هنا مشبه ومشبه به. وإذا أردنا أن نجعل منها استعارة تصريحية نحذف المشبه (هذا الرجُل) ويبقى المشبه به (بَحرٌ)

[٧] أحمد الهاشمي (٢٠١٧)، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوي للطبع والنشر، القاهرة، صـ ٢٤٩.

ونضعها في جملة استعارية فنقول (رأيتُ بحرًا يتلقى الضيوف بالكرم) فهنا استعارة تصريحية حذف المشبه (وهو الإنسان أو الرجل) وصُرح بالمشبه به (وهو البحر)، على سبيل الاستعارة التصريحية؛ وجملة (يتلقى الضيوف بالكرم) ليس وجه الشبه، لأن هذا فعله وليس الكرم ذاته لإننا لم نقل (رأيتُ رجلًا كالبحر في الكرم).

وأركان الاستعارة ثلاثة

١- المستعار له: وهو المشبه.

٢- المستعار منه: وهو المشبه به.

٣- المستعار: وهو اللفظ المنقول عن أصله.[٨]

ثانيًا- الاستعارة عند علماء البلاغة اليونانين

تُشتق كلمة استعارة. **Metaphora** من المصطلح اليوناني **μεταφορά** والفعل **μεταφέρω** أي أنها مركبة من حرف الجر **μετά** بمعنى بعد، والفعل **φέρω** بمعنى (أحمل)، وأنها تشير إلى سلسلة من العمليات اللغوية التي عبرها تنتقل أو تتحول أوجه شيءٍ إلى شيءٍ آخر.[٩]

ويناقش أرسطو في كتابيه "عن الشعر" في الفصول من (٢١-٢٥)، "والريتوريقا (الخطابة أو البلاغة)" التفاصيل المهمة المتعلقة بموضوعي التشبيه والاستعارة [١٠]؛ والحق أن علماء البلاغة العرب اتفقوا بالإجماع على أن الاستعارة في الأصل تشبيه حُذف أحد طرفيه، وأداته، ووجه الشبه. وهذا الإجماع يتفق مع رأي أرسطو فكلمة التشبيه **εἰκών** بمثابة مصطلح يدل على كل أنواع التشبيه، ويُعنى المماثلة لكونه يُقرب المعنى، فتجعله يماثل الواقعة الجديدة. والاستعارة μεταφορα تنشأ من التشبيه فيقول:

---

[٨] مصطفى الحوينى (٢٠٠٢)، البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، منشأة المعارف الإسكندرية، القاهرة. صـ ١٠٤.

[9] https://en.wikipedia.org/wiki/Metaphor.

[١٠] تيرنس هوكس (٢٠١٦)، الاستعارة، ترجمة: عمرو زكريا عبد الله، مراجعة: محمد بريري، ط١، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ص١٨.

"ἔστιν δὲ καὶ ἡ εἰκὼν μεταφορά΄. διαφέρει γὰρ μικρόν " (Aristotle., Rhetoric. 1406.b.22-23.)

" فالاستعارة تنشأ من التشبيه، لكنها تختلف قليلاً."

ولقد استطاع أرسطو أن يوضح الاختلاف بين التشبيه والاستعارة حين يوضح أن التشبيه لابد فيه من وجود أداة تشبيه؛ مثل الكاف أو مثل أو يُشبه كما في قوله:

"ὅταν μὲν γὰρ εἴπῃ [τὸν Ἀχιλλέα] “ὡς δὲ λέων ἐπόρουσεν”, εἰκών ἐστιν, ὅταν δὲ “λέων ἐπόρουσε”, μεταφορά· διὰ γὰρ τὸ ἄμφω ἀνδρείους εἶναι, προσηγόρευσεν μετενέγκας λέοντα τὸν Ἀχιλλέα."(Arist., Rhet. 1406. b.24-27)

" فعندما قال عن (أخيلّيوس) " إنه كان يتحرك جيئة وذهابًا كالأسد"، فذلك يكون تشبيهًا، لكن عندما (يقول) "وثب الأسد" فتلك استعارة، لأن كليهما قويان، فلُقب أخيلّيوس – على سبيل الاستعارة – بالأسد."

يضيف أرسطو إنه إذا كانت الاستعارة تنشأ من التشبيه، فكذلك التعبيرات الجميلة تنشأ من الاستعارة. يقول أرسطو:

"ἔστιν δὲ καὶ τὰ ἀστεῖα τὰ πλεῖστα διὰ μεταφορᾶς καὶ ἐκ τοῦ προσεξαπατᾶν· μᾶλλον γὰρ γίγνεται δῆλον ὅ τι ἔμαθε παρὰ τὸ ἐναντίως ἔχειν, καὶ ἔοικεν λέγειν ἡ ψυχὴ “ὡς ἀληθῶς, ἐγὼ δὲ ἥμαρτον”." (Arist., Rhet.1412. b.19-20)

"ومعظم (التعبيرات) الحسنة تنشأ من الاستعارات ومن خلال الخداع[١١].
ثم تصبح أكثر وضوحًا، ذلك أن الشخص أدرك
شيئًا ما على النقيض مما يتوقعه، وكأن النفس
تقول " كيف أنه واضح، ولكني أخطأت."

ويرى أرسطو أن الاستعارة علامة من علامات العبقرية المتمثلة في الإدراك الحدسي للشبه في غير المتشابهات، ويقول:

---

[١١] المقصود بقوله: من خلال الخداع.**προσεξαπατᾶν** هو الترويج للاعتقاد بشئ غير حقيقى، أو بشئ لا يُعبر عن كل الحقيقة.

" …….. **πολὺ δὲ μέγιστον τὸ μεταφορικὸν εἶναι. μόνον γὰρ τοῦτο οὔτε παρ' ἄλλου ἔστι λαβεῖν εὐφυΐας τε σημεῖόν ἐστι· τὸ γὰρ εὖ μεταφέρειν τὸ τὸ ὅμοιον θεωρεῖν ἐστιν"(Arist., Rhet. 1459. a.5-8.)**

" ولكن الأعظم من ذلك بكثير هو ابتكار الاستعارة،

فهى الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن تكتسبه من غيرك، إنه علامة العبقرية،

فابتكار الاستعارة الجيدة يكون في إدراك المتشابهات (في غير المتشابهات)."

يضيف أرسطو أن الاستعارة هى تغير بسيط في التشبيه، بالإضافة إلى أن عبقرية الكاتب تكمن في قدرته على استعمال الاستعارة، [١٢] ويقول:

"μεταφορὰ δέ ἐστιν ὀνόματος ἀλλοτρίου ἐπιφορὰ ἢ ἀπὸ τοῦ γένους ἐπὶ εἶδος ἢ ἀπὸ τοῦ εἴδους ἐπὶ τὸ γένος ἢ ἀπὸ τοῦ εἴδους ἐπὶ εἶδος ἢ κατὰ τὸ ἀνάλογον."(Arist., Rhet. 1457. b.6-9.)

"أما الاسم المجازى (الاستعارة والكناية)، فهو إعطاء (الاسم) مُسمى آخر،

من خلال (تحويل) الجنس إلى النوع، أو النوع إلى الجنس،

أو النوع إلى النوع، أو عن طريق التناسب."

يُعرف أرسطو من خلال الفقرة السابقة الاستعارة على أنها تسمية شيءٍ ما باسم يخص شيئًا آخر. ويقدم مقترحًا لاستخدام التحولات على النحو الآتي:

١- من الجنس genus إلى النوع species.

٢- من النوع species إلى الجنس genus .

٣- من نوعٍ إلى نوعٍ آخر.

٤- مسألة القياس التمثيلى analogy.[١٣]

وغالبًا ما تكون الاستعارة هى الصيغة الحقيقية للغة المجازية التي هى لغة وصفية بشكل حتمي، وتتضمن هذه التحولات نتيجة تتجلى في شكل صورة ذهنية أو بصرية.[١٤]

---

[١٢] ناصر حارس (٢٠١٦)، "الصورة الفنية والغرض الشعرى في إليجيات بروبرتيوس"، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة سوهاج، صص٧-٨.

[13] http://classics.mit.edu/Aristotle/heavens.1.i.html.

[١٤] تيرنس هوكس (٢٠١٦)، صص١٢، ١٨.

ثالثًا– الاستعارة عند علماء البلاغة الرومان

يُعرف كوينتيليانوس **Quintilianus** (٣٥/٣٠–٩١) الاستعارة في عمله " التعليم الخطابي" **(Institutio Oratoria)** ويوضح الفرق بينها وبين التشبيه في قوله:

"In totum autem metaphora brevior est similitudo, eoque distat, quod illa comparatur rei quam volumus exprimere, haec pro ipsa re dicitur. Comparatio est, cum dico fecisse quid hominem 'ut leonem', translatio, cum dico de homine 'leo est'." (Quint. Inst. Orat. VIII. 6. 8)

" وفي المجمل تعد الاستعارة شكلًا مختصرًا من أشكال التشبيه، ولكن يوجد فارقًا كبيرًا بينهما، ففي التشبيه تتم المقارنة بين شيء وبين الصفة المراد توضيحها، أما في الاستعارة فتتم الاستعاضة عن هذا الشيء بالصفة نفسها. فعندما أقول "ذلك الرجل قد قام بهذا الشيء كالأسد" يكون هذا تشبيهًا، ولكن عندما أقول إنه أسد تكون استعارة."

ويُمكن التعرف على كيفية تكوين الاستعارة من خلال مقال "الخطابة (البلاغة) إلى هرينيوس" **(Rhetorica ad Herennium)** [١٥]:

"Translatio est cum verbum in quondam rem transferetur ex alia re, quod propter similitudinem recte videbitur posse transferri." (Rhet., ad Her. IV. 34.45)

" تحدث الاستعارة عندما يتم نقل لفظ يشير إلى شيء بعينه للإشارة إلى شيء آخر، وذلك لأن المشابهة تبدو بوضوح أن بإمكانها السماح بهذا النقل." [١٦]

وتتنوع مصادر الاستعارة، فإذا كان مصدرها جزءٌ من أجزاء الإنسان أو حواسه أو عواطفه أو الحيوانات، فتسمى أيضًا **تجسيم أو تجسيد**، لأنها تصور المعاني المجردة وتظهرها عن طريق التجسيم في صورة حسية مشاهدة وملموسة، أما إذا كان مصدرها

---

[١٥] يرجع تاريخ مقال " الخطابة (البلاغة) إلى هيرينيوس" إلى حوالى عام ٨٦ ق. م، والذى نُسب – عن طريق الخطأ – إلى شيشرون؛ وما يميز هذا المقال هو تأكيده على الملائمة فيما يتعلق بالاستعارة. انظر: تيرنس هوكس (٢٠١٦)، ص٢٥.

[١٦] مافي محمد محمد أحمد (٢٠٢١)، "دراسة في الأسلوب الأدبي لقصيدة " فن الشعر" للشاعر هوراتيوس"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة القاهرة، صص ١٦٦–١٦٧.

الجمادات والمعنويات فتسمى **تشخيص أو توضيح**، لأنها قادرة على أن تجعل من الجمادات كائنات حية، وتصويرها في هيئة أشخاص تتحرك وتتكلم وتحس (أي أن بها روح).[١٧]

والاستعارة هى تجسيد للفكرة، لأنها ترمز إلى هدف يتعذر التعبير عنه أو معرفته، فهى وسيلة من الوسائل المعتمدة التي يتصرف المتكلم بها لنقل رسالته وتجسيدها.[١٨]

وهذا هو ما فعله شيشرون في محاورة "عن الشيخوخة"، عندما نجح في تحديد الفكرة في ذهنه من خلال تخيل صديقه، وتصور حالته سواء في الفرح أو القلق والألم التي يمكن أن تصيبه من جراء الشيخوخة، فاختيار الألفاظ ورسمها شعريًا بواسطة الصورة البديعية، سواء من خلال التشبيه أو الاستعارة، حتى يلفت انتباه المُتلقى ويجعلها قريبة من نفسه ويزيده اشتياقًا ولهفة؛ بالإضافة إلى أن استخدامه للعبارات التي بها استعارة لم تكن لمجرد إدراك التشابه، بل هى للإشارة إليه عن طريق المعنى الأصلي للكلمة، والانتقال من معنى إلى آخر.[١٩]

وقد وجدنا في محاورة "عن الشيخوخة" العديد من التشبيهات والاستعارات أثناء دفاع شيشرون عن الشيخوخة في بداية المحاورة،[٢٠] ومن خلال الحوار بين كاتو وسكيبيو ولايليوس،[٢١] وأثناء حديث شيشرون عن الشيخوخة وحيوية الشباب،[٢٢] وتأثيراتهما على العقل والجسم،[٢٣] ووجد أيضًا تشبيهات واستعارات من الحديث عن الشيخوخة واللذة (الرغبة الجسدية). وتشبيهات واستعارات درامية[٢٤]. وكذلك من خلال

---

[١٧] أحمد الهاشمي (٢٠١٧)، ص٢٥١.

[18] Deignan. A., (2005), Metaphor and Corpus Linguistics, Philadelphia and Amesterdam: Jhon Benjamins. p. 35.

[19] James. M., (2002), Brill's Companion to Cicero. Oratory and Rhetoric. Brill. Leiden. Boston. p. 21.

[20] Cf., Cic. De Senect., I.1., 2.

[21] Cf., Cic. De Senect., IV. 4., 6 ., III. 7., IV. 10., V.14.

[22] Cf., Cic. De Senect., VI. 18., 20., VII. 21., VIII. 25.

[23] Cf., Cic. De Senect., IX. 27., 28., X. 31., XI. 36., 38.

[24] Cf., Cic. De Senect., XIX. 70., 71.

الحديث عن السمات المختلفة للشخصيات في الحياة المدنية؛ [٢٥] وأخيرًا من خلال تشبيه حياته ووجوده في الدنيا ورحيله عنها بالمقيم في أحد الفنادق إقامة مؤقتة. إذ يقول في فقرة بها تشبيهان:

"quoniam **ita** vixi, ut non frustra me natum existimem, et ex **vita ita** discedo **tamquam** ex **hospitio**, non tamquam e domo; **commorandi enim natura d evorsorium nobis, non habitandi dedit. "** (Cic. De Senect., XXIII. 84)

"وحيث إنني قد عشت على هذا النحو، الذى يجعلنى أدرك أن مولدى لم يكن بلا جدوى، **وإنني أرحل عن الحياة هكذا كما لو كنت أرحل عن فندق،** وليس عن منزلي، وذلك لأن **الطبيعة منحتنا (الحياة) من أجل إقامة مؤقتة، وليس من أجل إقامة دائمة.**"

فضلًا عن أنه شبه الموت بالنوم في قوله:

"Iam vero videtis nihil esse **morti tam simile quam somnum**." (Cic. De Senect., XXII. 80)

" والحق أنكم ترون الآن أن لا شيء **أشبه بالموت أكثر من النوم.**"

وعلى هذا، إذا حاولنا أن نذكر كل الفقرات التي بها تشبيه واستعارة في محاورة "عن الشيخوخة" لا يكفيها بحثٌ واحدٌ. ولهذا اقتصر هذا البحث على الفقرات التي تتحدث عن الزراعة والملاحة وتحليلها، وبيان ما فيها وما تخفيه الفقرات التي تحتوي على تشبيهات واستعارات:

ونبدأ بالتشبيهات والاستعارات الزراعية. ولقد وجدنا فقرات عديدة بها تشبيهات واستعارات زراعية، ويمكن تقسيمها كالآتى:

أولًا– تشبيه مراحل عمر الإنسان بأعمال الزراعة

يبدأ شيشرون محاورة "عن الشيخوخة" بتوجيه الخطاب إلى صديقه "تيتوس بومبينوس أتيكوس **Titus Pompinus Atticus** "، وينصحه بأن يتخلص من القلق، لأن من يترك نفسه للقلق يصبح ملازمًا له، ويقلق من أبسط الأمور؛ وعلى العكس، إذا استحوذت عليه السكينة والطمأنينة يصبح متفائلًا ولديه الأمل، ويرى الأمور من

[25] Cf.,Cic. De Senect., VI. 20., VII. 21., VIII. 25., 26., IX. 27., 28., X. 31., 32., XIII. 44.

الوجهة الحسنة، ولذا ينعم بالسعادة والأمان. ويوضح شيشرون أن محاورته "عن الشيخوخة" ستكون هدية قيمة يحتفلان بها سويًا، وبوجه خاص بعد أن أدركتهما الشيخوخة فهما متقاربان في العمر.[٢٦] وقد اقتبس شيشرون في بداية هذه المحاورة مقطوعة صغيرة من الكتاب العاشر من "حوليات" **(Annales)** إنيوس **Ennius** التي كتبها إلى القائد الرومانى تيتوس كوينكتيوس فلامينينوس **Titus Q. Flamininus** ، الذي حارب ضد فيليب الخامس ملك مقدونيا عام ١٩٧ق.م، والذي يتشابه اسمه مع اسم صديقه أتيكوس، فوظف شيشرون التشابه في الاسم بحيث يبدو الحديث موجهًا إليه[٢٧]. ولقد استوحى شيشرون من خياله حوارًا بين قائد وسياسى روماني شهير كان شيشرون مُعجبًا به وهو كاتو الأكبر أو الرقيب **(Censorius) Cato Maior** واثنين من أصدقائه الأصغر سنًا وهما سكيبيو الأفريقى ولايليوس، وكأنه يتحدث بالنيابة عنه. في البداية يوجه سكيبيو الأفريقى حديثه إلى كاتو عن كبار السن الذين بلغوا سن الشيخوخة، ويوضح أن سبب ما هو فيه من حكمة واعتدال هو الطبيعة، فهى "خير مرشد للحياة الفاضلة. **optima dux bene vivendi** "[٢٨]، ويصدق لايليوس على ما يقوله صديقه الحميم سكيبيو الأفريقى خلال أقوالهما الآتية:

"…in hoc sumus sapientes, quod **naturam optimam ducem tamquam deum** sequimur eique paremus; a qua non veri simile est, **cum ceterae partes aetatis bene discriptae sint,** extremum actum tamquam ab inerti poeta esse neglectum. **Sed tamen necesse fuit esse aliquid extremum et, tamquam in arborum bacis terraeque fructibus, maturitate tempestiva quasi vietum et caducum,** Quod ferendi est molliter sapienti. **quid est enim aliud Gigantum modo bellare cum dis nisi naturae repugnare?**

LAELIUS. Atqui, Cato, gratissimum nobis, ut etiam pro Scipione pollicear, feceris, si, quoniam speramus, volumus quidem certe senes fieri, multo ante a te didicerimus quibus facillime rationibus **ingravescentem aetatem** ferre possimus." (Cic. De Senect., II. 5.3., 6)

---

[26] Cf., Cic. De Senect., I. 2.

[27] William. Evans., (1981), "De Senectute", CR, 85, No. 6307, p. 1643.

[28] Jal. Press. Inc., (1993), "Psychological Adaptation and Virtue: Geropsychological Perspectives on Cicero's De Senectute", JAS, 7, Number 4, p. 354.

"(يقول كاتو الأكبر) وفي هذا الصدد فإننا نعد حكماء، لأننا نتبع **الطبيعة كأفضل قائد وكأنها إله**، ونطيعها؛ وحيث إنها هى التي **كتبت بعناية (مشاهد) مراحل العمر الأخرى**، فإنه ليس من المتوقع منها أن تهمل في كتابة المشهد الأخير لهذه الدراما (الحياتية)، وكأنه قد تم معالجته باستخفاف من قبل شاعر مسرحي مهمل. **لكن، على أية حال، فإن نهاية ما يجب أن يحدث، مثلما هو الحال في ثمار الأشجار ومحاصيل الأرض، فعندما يحين موسم نضجها تبدو وكأنها تذبل وتميل نحو السقوط، وأنه ينبغي على الحكيم أن يتحمل ذلك الأمر برحابة صدر، لأنه ماذا يفوق القتال ضد الآلهة على غرار المردة سوى مقاومة الطبيعة؟**

لايليوس: صدقت يا كاتو، وإنك سوف تصنع لنا معروفًا، وأظن أنني أتحدث نيابة عن سكيبيو أيضًا، وحيث إننا نأمل أن نصبح شيوخًا أو نتمنى ذلك على أقل تقدير، لو أنك تعلمنا – مسبقًا– بأي من تعاليمك يمكننا أن نتحمل بكل يسر **ثُقل هذه المرحلة من العمر (أى الشيخوخة)** التي تزداد يومًا بعد يوم."

ونجد في حديث كاتو الأكبر **تشبيهًا زراعيًا** حين يقول:

"إن نهاية ما يجب أن تحدث، مثلما هو الحال في ثمار الأشجار ومحاصيل الأرض، فعندما يحين موسم نضجها تبدو وكأنها تذبل وتميل نحو السقوط."

"**sed tamen necesse fuit esse aliquid extremum et tamquam in arborum bacis terraeque fructibus maturitate tempestiva quasi vietum et caducum, "**

المشبه: عقلي وهو: مراحل العمر الأخرى **ceterae partes aetatis**

المشبه به: حسي من المبصرات والملموسات وذات المذاق وهو:

ثمار الأشجار ومحاصيل الأرض..**arborum bacis terraeque fructibus**

أداة التشبيه: بالمثل، والكاف (كالثمار) **tamquam. quasi .**

وجه الشبه: الذبول والميل نحو السقوط **vietum et caducum**

ويُعد هذا التشبيه مُجملًا حيث شُبه المشهد الأخير أو الفترة الأخيرة من عمر الإنسان (أي الشيخوخة) بالثمار عندما تنضج ويحين أوان قطفها، وهى في الفترة الأخيرة أيضًا من حياتها، وكلاهما ناتج المحصلة النهائية، وهى الزوال بعد عدة مراحل.[٢٩]

ويوجد أيضًا في الحديث السابق تشبيهان واستعارتان لايرتبطون بموضوع الزراعة وهم:

التشبيه الأول في قوله: "الطبيعة كأفضل قائد وكأنها إله".

"**naturam optimam ducem tamquam deum**"

فقد شبه الطبيعة **natura** (مشبه حسي)

بأنها أفضل قائد وإله **deum**... **optimam ducem** (مشبه به عقلي).

وأداة التشبيه (في قوله كأفضل). **optimam tamquam .**

والتشبيه الثانى في قوله:

"لأنه ماذا يفوق القتال ضد الآلهة على غرار المردة سوى مقاومة الطبيعة؟"

"**quid est enim aliud Gigantum modo bellare cum dis nisi naturae repugnare? "**

فقد شبه "مقاومة الطبيعة" "**nisi naturae repugnare** " (مشبه عقلى)

"بقتال المردة ضد الآلهة" " **Gigantum bellare cum dis**" .(المشبه به عقلى)

ويُعد هذا التشبيه تمثيليًا لحال المقاومة والاعتراض على الطبيعة والحياة والتمرد على الآلهة، وهو يعلم مدى نفاذ مشيئتها وأمرها، فهى معارضة لا طائل من ورائها.[٣٠]

والاستعارة الأولى مكنية في قوله: "وحيث إنها هى التي كتبت بعناية (مشاهد) مراحل العمر الأخرى" " **cum ceterae partes aetatis bene discriptae sint**" .

فقد شبه الطبيعة **natura** (المستعار له) بالكاتب **scriptor** أو الشاعر المسرحي، (المستعار منه) وهو المشبه به المحذوف، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهى الكتابة على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة الدالة على الاستعارة هى أن الشاعر جعل من

[29] Peabody. A. P., (1984), Cicero De Senectute. (On Old Age). Translated with an Introduction and Notes. Cabmridge. p. 34.

[30] Peabody. A. P., (1984), p.34.

الطبيعة كاتبًا يكتب مراحل العمر للإنسان، كما أن بها تشبيهًا تمثيليًا، حيث يشبه الطبيعة بالكاتب المسرحى حين يكتب مسرحية، وكل مرحلة من مراحل العمر بمثابة مشهد من مشاهد هذه المسرحية، والشيخوخة هى المشهد الأخير.

والاستعارة الثانية تصريحية في قوله: "ثُقل هذه المرحلة من العمر (أى الشيخوخة)." " **ingravescentem aetatem.** "

فقد حُذف المشبه وهو حِمْل أو عبء **onus** (المستعار له)، وصُرح بالمشبه به، وهو (سنوات) العمر **aetatem** الثقيلة (المستعار منه) التي يتحملها الإنسان على سبيل الاستعارة التصريحية، واللفظ المستعار: ثُقل **ingravescentem (ingravesco)** حيث جعل سنوات العمر كحمل ثقيل يتحمله الإنسان، والقرينة ثُقل.

يُوضح شيشرون أن العمر ينقسم إلى ثلاث مراحل، وأن لكل مرحلة خصائصها المميزة وذلك حين يقول على لسان كاتو:

"ut et infirmitas puerorum et ferocitas iuvenum et gravitas iam **constantis** aetatis et **senectutis** maturitas naturale quiddam habet, **quod suo tempore percipi debet.** " (Cic. De Senect., X. 33)

" وعلى ذلك هناك الضَّعْف عند الغلمان، والعنف لدى الشباب، والرزانة في منتصف العمر، **والنضج في الشيخوخة، فلكل مرحلة سنية ثمارها الطبيعية**، التي ينبغي حصادها في موسمها."

يوجد هنا **تشبيه زراعى** في قوله: " النضج في الشيخوخة" "**constantis senectutis** "

المشبه: حسي من المبصرات وهو: الشيخوخة **senectus** .

المشبه به: حسي من المبصرات والملموسات والمذوقات وهو: النضج **constantis**

أداة التشبيه: محذوفة (ولذلك يسمى تشبيه مؤكد)

وجه الشبه: كل مرحلة سنية لها صفات تميزها.

قسم شيشرون مراحل حياة الإنسان إلى ثلاث مراحل، هى الطفولة وهى فترة الضعف، ومرحلة الشباب وهى فترة القوة والعنف، ومرحلة الشيخوخة وهى فترة النضج، وكذلك المحاصيل الزراعية لها فترة ضَّعْف، ثم قوة وازدهار، ثم نضج؛ فإذا

كان للإنسان مراحل كما يقول: فلكل مرحلة سنية ثمارها الطبيعية، **quod suo tempore percipi debet**، فكذلك المحاصيل الزراعية، فكل مرحلة من مراحل نموها لها ثمارها، ولها وقت حصاد؛ وعند الإنسان مرحلة الشيخوخة هى آخر مرحلة عمرية، وفيها الخبرة والنضج، وهى تشبه الثمار التي يجب حصادها في وقتها؛ ودلالة هذا استخدامه للفعل" **percipi** والذي من معانيه " قطف الثمار" . [٣١]

يسهب شيشرون بعد ذلك في وصف فضائل الشيخوخة من خلال تشبيه الربيع بالشباب وفضائل الشيخوخة بالمحاصيل الزاعية في قوله:

"Neque enim **histrioni**, ut placeat, peragenda fabula est, modo in quocunque fuerit actu probetur; neque **sapientibus** usque ad **"plaudite"** veniendum est**, breve enim tempus aetatis satis longum est ad bene honesteque vivendum; sin processerit longius, non magis dolendm est, quam agricol ae dolent praeterita verni temporis suavitate aestatem autumnumque v enisse. Ver enim tamquam adulescentiam significat ostenditque fructus futuros., reliqua autem tempora demetendis fructibus et percipiendis accommodata sunt.**

Fructus autem senectutis est, ut saepe dixi, ante partorum bonorum memoria et copia. Omnia autem, quae secundum naturam fiunt, sunt habenda in bonis., quid est autem tam secundum naturam quam senibus emori? Quod idem contingit adulescentibus adversante et repugnante natura. " (Cic. De Senect., XIX. 70.,71)

" **فالممثل** –على سبيل المثال– لكي يمتع الجمهور، لا يحتاج إلى الظهور في كل المشاهد حتى المشهد الأخير، فيكفيه أن يكون محل استحسان الجمهور في المشاهد التي مثلها؛ وعلى ذلك فإنه ليس من الضروري على **الحكماء** أن يظلوا على هذه الخشبة الفانية حتى **إسدال الستار** في النهاية. **فإن كانت فترة العمر قصيرة، فهى تعد طويلة بما فيه الكفاية لكي تعيش حياة حسنة وشريفة؛ أما إذا قُدر لك أن تعيش حياة أطول، فليس هناك ما يدعو إلى الحزن على نحو أكبر من حزن الفلاحين، عندما ينصرم فصل الربيع المبهج ويقبل عليهم الصيف والخريف، لأن الربيع يجسد لهم الشباب، ويظهر الفاكهة التي سوف تثمر؛ أما باقى الفصول فدورها هو حصاد**

[31] Maguinness. W. S., (1984), "Two Notes on Cicero, De Senectute", CR, 88, No, p. 212.

المحاصيل وتخزينها في أماكن مناسبة. أما ثمرة الشيخوخة، كما يُقال كثيرًا، فتتمثل في تذكر النعم الوفيرة التي سبق الحصول عليها. على أية حال، فإن كل شيء يحدث وفقًا للطبيعة يجب أن نعده من النعم. فما الذي يمكن أن يكون متناغمًا مع الطبيعة أكثر من كبار السن؟ لكن الشيء نفسه يحدث للشباب، رغم أن الطبيعة تقاوم وتناضل لكيلا يحدث ذلك."

يوجد **تشبيه زراعي** في قوله:

"أما ثمرة الشيخوخة، كما يُقال كثيرًا، فتتمثل في تذكر النعم الوفيرة التي سبق الحصول عليها."

"**fructus autem senectutis est ut saepe dixi ante partorum bonorum memoria et copia**."

المشبه: عقلي وهو: ثمرة الشيخوخة **fructus senectutis** .

المشبه به: عقلي وهو: تذكر النعم الوفيرة التي سبق الحصول عليها.
partorum bonorum memoria et copia.

أداة التشبيه: مثل **ut** .

وجه الشبه: حصاد الخيرات والنعم، وسر جمال التشبيه هنا هو التشخيص.

بالإضافة إلى أنه شبه حياة (الناس) الحكماء **sapientibus** بدور الممثل **histrioni (histrio)** على خشبة المسرح، وأداة التشبيه: محذوفة؛ وبما أن الأداة محذوفة فيسمى تشبيه مؤكد.

وفي قوله "إن كانت فترة العمر قصيرة، فهى تعد طويلة بما فيه الكفاية لكي تعيش حياة حسنة وشريفة؛ أما إذا قُدر لك أن تعيش حياة أطول، فليس هناك ما يدعو إلى الحزن" يُشير إلى أن الشيخوخة التي تصيب الإنسان لا يجب الخوف أو الانزعاج منها، بل يجب أن يسعد بسنوات عمره سواء كانت قصيرة أو طويلة. (٣٢)

[32] Thornton. C. L., (2018), Defining Friendship in Cicero's De Amicitia. Quinnipiac University. p. 67.

وفي قوله: " الربيع يجسد لهم الشباب". " **ver enim tamquam adulescentiam** " تشبيه **غير زراعى** (من الطبيعة) حيث شبه الربيع **ver** بالشباب **adulescentiam** ومستخدمًا أداة التشبيه: **tamquam**.

يتضح مما سبق أنه إذا كان للسنة فصولها المناسبة فكذلك للإنسان فصول مختلفة (مرحلة المهد ثم الطفولة ثم الشباب ثم الرجولة ثم الشيخوخة)، فاستطاع شيشرون أن يربط بين فصول السنة الأربعة ومراحل حياة الإنسان على اعتبار أن الطبيعة شكلت حياة البشر، ومن ثم يمكنهم الاستمتاع بأشياء معينة خلال مرحلة الشباب، وبأشياء أخرى حينما يبلغون أرذل العمر، ولا جدوى من أي محاولة للتمسك بمرحلة الشباب بعد أن ينقضي أوانها المناسب.[٣٣]

ثانيًا– تشبيهات واستعارات زراعية من الشيخوخة

بعد تساؤل لايليوس لكاتو الأكبر عن كيفية يمكن تقبل سنوات العمر الباقية من العمر، وبعد تشبيه الربيع بالشباب وفضائل الشيخوخة بالمحاصيل الزاعية يخاطب كاتو الأكبر ضيفيه سكيبيو ولايليوس وينصحهما بالإرشادات التي يجب اتباعها في مرحلة الشيخوخة، وذلك حين يقول:

"Aptissima omnino sunt, Scipio et Laeli, arma senectutis **artes exercitationesque virtutum**, quae in omni aetate **cultae**, cum diu multumque vixeris, **mirificos efferunt fructus**, non solum quia numquam **deserunt ne** extremo quidem tempore aetatis, quamquam id quidem maximum est, verum etiam quia conscientia bene actae vitae multorumque bene factorum recordatio iucundissima est. " (Cic. De Senect., III. 9.)

" لا شك أن أنسب أسلحة الشيخوخة، يا عزيزاي سكيبيو ولايليوس، **هى الفنون والممارسة العملية للفضائل، التي لو غرستماها** في كل مرحلة من مراحل حياتكما فإنها حين تعيش عمرًا طويلًا وثريًا بالأحداث **تنتج ثمارًا لها العجب**، وذلك ليس فقط لأنها لم تخذلك قط، ولا حتى في الفترة الأخيرة من العمر، (رغم أن هذا الأمر –

[33] Allen. k., (1998), "Note on Cicero, De Senectute 51 and 61", AJPh, 119, no. 4, p. 437.

بحق– له أهمية قصوى)، بل أيضًا لأن إدراك المرء أنه قد قضى حياته على نحو طيب، وتذكره للكثير من الأحداث الجيدة يعدان أمرين غاية في المتعة."

توجد في النصائح والإرشادات السابقة استعارتان مكنيتان:

الاستعارة الأولى في قوله: " الفنون والممارسة العملية للفضائل، التي لو غرستماها".

" **artes exercitationesque virtutum … cultae** "

المستعار له: الفنون والممارسة العملية للفضائل.

"**artes exercitationesque virtutum** "

المستعار منه: النبات **planta** .

المستعار: أحرث الأرض أو أغرس البذور **cultae (colo)** .

وسر جمال الاستعارة هنا هو التجسيم، حيث شبه كاتو الأكبر الفنون والممارسة العملية للفضائل بالنبات، وهو المشبه به المحذوف، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الغرس على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة الدالة على الاستعارة هى الغرس أيضًا.

والاستعارة الثانية في قوله:

"(الفنون والممارسة العملية للفضائل) .... تنتج ثمارًا لها العجب. "

" (artes exercitationesque virtutum)…mirificos efferunt fructus. "

المستعار له: الفنون والممارسة العملية للفضائل.

. artes exercitationesque virtutum

المستعار منه: الشجر المثمر **arbores frugiferae .**

المستعار: ستنتج ثمارًا **efferunt(effero) fructus .**

وسر جمال الاستعارة هنا هو التجسيم. فقد شبه الفنون والممارسة العملية للفضائل بالشجر المثمر، وهو المشبه به المحذوف، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو انتاج الثمار على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة الدالة على الاستعارة هى تنتج ثمارًا فجعل الفنون والممارسة العملية للفضائل شجرًا مثمرًا له موعد حصاد.

إن كل مرحلة من مراحل العمر الإنسان لها فعاليتها واهتماماتها ومباهجها، فمنذ البداية هناك الكثير من العادات الحسنة كالاعتدال والحكمة والتمتع بكل ما تقدمه الحياة من متع، وينبغى غرس الفضيلة والمبادىء الراسخة بداخل الإنسان المستقيم، فهى جميعها أمور ينبغى أن يتعلمها الإنسان في مرحلة الشباب، لأنها سوف تستقر معه وهو يتقدم في العمر، وهى التي تجعل سنوات العمر الأخيرة سعيدة، ولا يمكن للشباب التعيس أن يكون أكثر سعادة وهو يتقدم في العمر.[٣٤]

ووفقًا لمفهوم الفضيلة **virtus** عند الشخص الفاضل هو الشخص الذي لديه القدرة على أن يعيش حياة إنسانية سعيدة، والفضيلة هى دعوة ليقظة الضمير ومراعاته في عمل الأشياء وإنجازها في أحسن صورة، ولقد كان سقراط Σωκράτης يرى أن الإنسان يتمتع بوجود خمس فضائل أساسية هى: الحكمة والاعتدال والشجاعة والعدل، وأخيرًا التقوى. يرى الفلاسفة اليونانيون الثلاثة سقراط وأفلاطون وأرسطو أن الإنسان يكفيه وجود فضيلة واحدة من تلك الفضائل حتى تتحقق عنده الإنسانية، ومن ثم السعادة البشرية، وخاصة أن الإنسان الذي يتمتع بفضيلة واحدة من تلك الفضائل من المؤكد أنه تكون لديه باقية الفضائل، فالفضائل لا تنفصل. والفضيلة الكاملة هى مفتاح السعادة في الحياة الإنسانية. فالسعادة هى غاية الإنسان في تلك الحياة الدنيا، ومن ثم الرضا في الآخرة بعد الموت. [٣٥]

يتحدث بعد ذلك شيشرون على لسان كاتو الأكبر عن شخصيتين عظيمتين هما كوينتوس ماكسيموس[٣٦] وإنيوس، اللذان لم تمنعهما شيخوختهما من إنجاز الأعمال العظيمة.[٣٧] يوضح كاتو الأكبر أنه خلال عمله العسكري خدم كجندى وكضابط، ثم

---

[34] Punter. D., (2007), Metaphor, Routledge, London and New York. p.149.

[35] Peabody. A. P., (1984), p.39.

[٣٦] القائد كوينتوس ماكسيموس Q. Maximum الذي تمكن من استعادة مدينة تارنتوم Tarentum في جنوب إيطاليا عام ٢٠٩ ق.م، من هانيبال؛ كان قائدًا مغوارًا في الوقت الذي كان فيه كاتو غلامًا صغيرًا معجبًا به وبشخصيته. انظر:

Cic. De Senect., IV.10., William. Evans., (1981), p. 1645.

[37] Cf., Cic. De Senect., IV.10., V.14.

أصبح قائدًا عامًا بعد حصوله على القنصلية، أما الآن، وقد صار شيخًا، فإنه لم يعد قادرًا على خوض الحروب، لكن معاركه انتقلت إلى ميدان آخر، وهو مجلس الشيوخ **senatus** الذي ينصت إليه حينما يتكلم عن الحروب التي خاضها.(٣٨)

يوضح شيشرون على لسان كاتو الأكبر أنه يمكن أن يُطلق على كبار السن من الرومان لقب مزارعين؛ لأنه لولا إشرافهم على الأعمال الزراعية، مثل الحصاد، وتخزين المحاصيل في أراضيهم على أجمل وجه. وأن المزارعين المُسنين لا يزرعون لأنفسهم فقط، بل لمنفعة الآخرين، على الرغم من أنهم لا يتوقعون أن يعيشوا لسنة قادمة.(٣٩) وقد وضح هذا من قوله:

" Quamquam in aliis minus hoc mirum est; nemo enim est tam senex qui se annum non putet posse vivere; sed idem in eis elaborant quae sciunt nihil ad se omnino pertinere:
'serit arbores, quae alteri saeculo prosint',
ut ait Statius noster in Synephebis. " (Cic. De Senect.,VII. 24)

" وعلى الرغم من أن هذا العمل الذي يقومون به ليس بالمثير للدهشة، لأنه لا يوجد شخص بالغ الكبر في السن لدرجة أنه لا يعتقد أن بمقدوره العيش لعام آخر، فإن هؤلاء المزارعين أنفسهم يكدحون في هذه الأعمال التي يعرفون أنها لن تعود عليهم بأي ربح على الأطلاق:

" إنه يزرع أشجارًا، لكي يستفيد منها الآخرون من جيل آخر،"

طبقًا لما قال شاعرنا (كايكيليوس) ستاتيوس في مسرحية تحمل عنوان " الرفاق الشباب ".(٤٠)

يضاف إلى ذلك أنه يجب تبادل الخبرات بين الشباب والشيوخ، حيث إن كبار السن لديهم الكثير مما يلقنونه للشباب، لأن هناك أمور شتى في الحياة لا يمكن

---

[38] Cf., Cic. De Senect., VI. 18.

[39] Throop. G. R., (1991),"Cicero's De Senectute, section section 10 and 37", CPh, 86, no. 4, p. 483.

٤٠ " الرفاق الشباب.Synephebis "، من المحتمل أنه عنوان لمسرحية، لأن جميع مسرحيات مؤلفها كايكيليوس ستاتيوس ليست موجودة. انظر: OCD, S. V., Statius.

اكتسابها إلا عن طريق الخبرة من كبار السن، وبالمثل يجب على الشباب أن يسعوا إلى مرافقة كبار السن وتقديم المساعدة.[٤١]

فشيشرون يحث كبار السن على ممارسة الأعمال الأدبية التي تحتاج إلى الجهد العقلي لا إلى الجهد البدني، فالشيخوخة لا تؤثر في الذاكرة، إذ يمكنهم القيام بأعمال لا تتطلب القوة البدنية مثل الدراسة والكتابة، اللتين من خلالهما ينقلون حكمتهم وخبرتهم إلى الشباب. فلابد من تنشيط عقول كبار السن كلما تقدموا في العمر.[٤٢]

ويُشيد شيشرون بالشيخ الذى يحتفظ في شيخوخته بحيويته ورشاقته وروحه التي لا تصبها الشيخوخة بالرغم من كبر سنه، ويبدو أن شيشرون يريد أن يقول: إياك أن تصدق بأنك كبرت في السن، فما الجسد إلا وعاءً توضع فيه الروح، فالروح لا تشيب ولا تشيخ ولها عالمها الخاص الذي لا يشبه عالم الأحياء؛ كما أنه يجب على كبار السن أن يدافعوا عن أنفسهم " لأن الشيخوخة، حقًا، تحظى بالتوقير إذا دافعت عن نفسها، وحافظت على حقوقها".[٤٣]

يذكر شيشرون "أن اللعنة الرئيسة التي وهبتها الطبيعة للبشر هى شهوة الجسد (الرغبة الجنسية)" فهى المحرك الرئيس للموبقات، ولذا ينبغي على كبار السن الاعتدال فيها وعدم الاستجابة لها دائمًا.[٤٤] فقد وهبت الطبيعة الإنسان مباهج للحياة غير الرغبة، خاصة وأن الإنسان في شيخوخته لا يهتم بها مثل الشاب. ويمكن لكبار السن أن يخلقوا جوًا يسوده المرح، وكأنهم في مرحلة الشباب التي زالت، وذلك من خلال إقامة الولائم مع أصدقائهم، وتعيين أحد المشرفين على المأدبة يتولى شئون

---

41 Throop. G. R., (1998), "A New Manuscript of Cicero's De Senectute", CPh, 93, no. 3, p. 289.

42 Cf., Cic. De Senect., XI. 38., Allen. k., (1999), " Cicero: De Senectute", CW, 83, no. 12, p. 94.

43 Cf. Cic. De Senect., XI. 38., Maguinness. W. S., (1984), p. 212.

44 Cf. Cic. De Senect., XII. 39., 41., Perkins. R. L., (1995), Cicero's Concerning Old Age, JE, 122, no. 10 , p. 283.

المأدبة،[٤٥] ومن ثم يذكر وصف إكسينوفون لإحدى المآدب بكلمات بلاغية بديعة بقوله:

" me vero et magisteria delectant a maioribus instituta et is sermo qui more maiorum a summo adhibetur in poculo, et **pocula** sicut in Symposio Xenophontis est, **minuta atque rorantia** et refrigeratio aestate et vicissim aut sol aut ignis hibernus; " (Cic. De Senect., XIV. 46.)

" والحق إنه لتبهجني العادات التي أرساها أسلافنا بتخصيص مشرفين (على الولائم)، وذلك الخطاب الذي يلقيه، طبقًا لعادة السلف، الجالس على رأس المائدة (حول قواعد الشراب) وعند تقديم الأقداح، تمامًا مثل ما ورد في محاورة "المأدبة" لإكسينوفون، فإنه تبهجني **الأقداح صغيرة الحجم الممتلئة بقطرات تشبه قطرات الندى** وباردة في الصيف، ومن ناحية أخرى دافئة في الشتاء بفعل أشعة الشمس أو نار المِدفأة."

توجد استعارة مكنية في قوله:

"الأقداح صغيرة الحجم الممتلئة بقطرات تشبه قطرات الندى."

"**pocula… minuta atque rorantia.**"

المستعار له: الأقداح صغيرة الحجم.**pocula (poculum) … minuta (minuo).**

المستعار منه: الزهور **flores** .

المستعار: الممتلئة بالندى **rorantia (roro)** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح، حيث شبه الأقداح بالزهور المتفتحة والممتلئة بقطرات الندى في الصباح وحذفت الزهور، وهو المشبه به المحذوف، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قطرات الندى على سبيل الاستعارة المكنية، وأبقت قرينة الامتلاء بالندى.

وعلى هذا فيمكن لكبار السن بعد تناول العشاء مع أصدقائهم أن يقضوا شطرًا من الليل في السمر ويتحدثون في أمورٍ شتى باعتبار أن هذا بديل عن الاستمتاع باللذات

[45] Tolf. J. S., (1999), Patterns of Imagery in Ciceronian Invective. University of Washington. p.54.

الجنسية، لأنه يجب على كبار السن عدم المغالاة في التفكير في الجنس، لأنهم لا يمكنهم الاستمتاع باللذات الجسدية مثل الشباب، إذ إن الأهواء الجنسية تطغى على فكر الشباب وتراود خيالهم دائمًا وتخبو حدتها مع التقدم في العمر، ويُعد هذا فضلًا ونعمةً من وجهة نظر شيشرون فبإخماد نار الشهوة وتضاؤلها يُمنح المُسن فرصة عظيمة للاستمتاع بجوانب أخرى من الحياة اسهل إشباعًا وأكثر دومًا. (٤٦)

لقد وصف شيشرون الشيخوخة من قبل وقال إنها عبء يصعب حمله،(٤٧) ويعترف بعيوب الشيخوخة ويصفها بالميل إلى الثرثرة، (٤٨) وأنها ثرثارة **et senectus est loquacior.**(٤٩)

ورغم ذلك فإنه يصفها بعد ذلك بأنها تاج **apex** الوقار على جبين الشيوخ؛ وكلمة **apex** تعنى إكليل من الزهور، أوسنبلة القمح، أو ذروة الشيء؛ فيبدو أن شيشرون قد استخدم هذه الكلمة كتعبير مجازى زراعى للتعبير عن السمو والارتفاع بقيمة ومكانة الشيوخ.(٥٠) وقد ورد هذا في قول شيشرون على لسان كاتو الأكبر:

" **apex est autem senectutis auctoritas**." (Cic. De Senect., XVII. 61)

" بيد أن تاج الشيخوخة هو الوقار"

والعبارة كلها بها استعارة مكنية.

المستعار له: الشيخوخة **senectutis (senectus)** .

المستعار منه: الإنسان **homo** .

المستعار: التاج **apex** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح. حيث يشبه الشيخوخة بالإنسان، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، فيجعل تاج الوقار كأنه ذهبٌ يتوج به من تدركته الشيخوخة على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها التتويج.

---

[46] Perkins. R. L., (1995), p. 284.
[47] Cf. Cic. De Senect., I. 2., II.4.
[48] Jal. Press. Inc., (1993), p. 356.
[49] Cf. Cic. De Senect.,XVI. 55.
[50] Hollander. D. B., (2019)., Farmers and Agriculture in the Roman Economy. Columbia University. p.16.

يضاف إلى هذا أن وصف شيشرون تاج الشيخوخة هو الوقار لأن محاورته "عن الشيخوخة" في حقيقتها هى تمجيد للشيخوخة.[٥١] على الرغم من أنه يصفها بعد ذلك بالبؤس، ومن ثم يجب عليها أن تدافع عن نفسها كما في قوله:

" **miseram esse senectutem quae se oratione defenderet. Non cani nec rugae repente auctoritatem arripere possunt, sed honeste acta superior aetas fructus capit auctoritatis extremos.** " (Cic. De Senect., XVII. 62)

"بائسة هى الشيخوخة التي يجب عليها أن تتحدث لتدافع عن نفسها. فلا الشعر الأبيض ولا التجاعيد بإمكانهم أن يستولوا على السلطة فجأة؛ ولكن سنوات العمر الماضية التي انقضت بنزاهة وبشكل جيد تحصد ثمرة السلطة."

توجد في الفقرة السابقة أربع استعارات؛ ثلاث مكنية وواحدة تصريحية ومجاز وكناية:

الاستعارة الأولى مكنية كما هو في قوله:

"بائسة هى الشيخوخة التي يجب عليها أن تتحدث لتدافع عن نفسها."

" **miseram esse senectutem quae se oratione defenderet** ."

المستعار له: الشيخوخة البائسة **miseram senectutem** .

المستعار منه: الإنسان **homo** .

المستعار: أن تتحدث لتدافع عن نفسها.**se oratione defenderet** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التشخيص، حيث يشبه الشيخوخة بالإنسان، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو الدفاع عن النفس، وعدم الخضوع لأحد على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها التحدث.

والاستعارة الثانية مكنية في قوله:

"فلا الشعر الأبيض ولا التجاعيد بإمكانهم أن يستولوا على السلطة فجأة."

" **non cani nec rugae repente auctoritatem arripere possunt.**"

المستعار له: الشعر الأبيض أو التجاعيد **cani...rugae.**

المستعار منه: الإنسان **homo** .

[51] Allen. k., (1998), p.438.

المستعار: أن يستولوا على السلطة **auctoritatem arripere.**

وسر جمال هذه الاستعارة هو التشخيص، حيث يشبه الشعر الأبيض أو التجاعيد بالإنسان، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو العجز وكبر السن على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها الاستيلاء.

يضاف إلى هذا أن الشعر الأبيض أو التجاعيد كناية عن الشيخوخة، ومجاز مرسل علاقته الجزئية (جزء من الكل) حيث أطلق الجزء وهو الشعر الأبيض أو التجاعيد التي هى جزء من جسم الإنسان، وأراد الكل، وهو الإنسان.

والاستعارة الثالثة تصريحية كما في قوله:

"ولكن سنوات العمر الماضية التي انقضت بنزاهة وبشكل جيد."

"**sed honeste acta superior aetas …..extremos.**"

المستعار له: عدو **hostis.**

المستعار منه: سنوات العمر الماضية **aetas …extremos** .

المستعار: انقضت **acta (ago)** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التشخيص، فقد حُذف المشبه وهو العدو، وصرح بالمشبه به وهو سنوات العمر الماضية على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث جعل سنوات العمر الماضية عدوًا ينقض، وقرينتها الهجوم.

والاستعارة الرابعة مكنية كما في قوله: "سنوات العمر الماضية... تحصد ثمرة السلطة."

" **aetas fructus capit auctoritatis extremos.** "

المستعار له: سنوات العمر الماضية **aetas …extremos** .

المستعار منه: الأشجار المثمرة **arbores frugiferae** .

المستعار: تحصد **capit (capio)** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التجسيم؛ لأنه يشبه سنوات العمر الماضية بالأشجار المثمرة أو الثمرة، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الحصاد، على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة الدالة تحصد.

من الواضح أن شيشرون كان متمكنًا من الصور البيانية إلى حد كبير، بدليل أنه استخدم ثلاث استعارت مكنية واستعارة تصريحية ومجاز وكناية في فقرة واحدة لاتتعدى ثلاثة سطور.

ثالثًا– تشبيهات واستعارات عن مباهج الزراعة

ينتقل شيشرون في حديثه عن الشيخوخة على لسان كاتو الأكبر إلى الحديث عن مباهج الزراعة ويقول:

"Venio nunc ad **voluptates agricolarum, quibus ego incredibiliter delector**; **quae nec ulla impediuntur senectute et mihi ad sapientis vitam proxime videntur accedere. Habent enim rationem cum terra**, quae numquam recusat imperium nec umquam sine usura reddit quod accepit, sed alias minore plerumque maiore cum faenore." (Cic. De Senect.,XIV. 51)

"آتى الآن إلى **مباهج المزارعين، التي أجد فيها متعة لا يمكن وصفها، والتي لا تعوقها الشيخوخة أبدًا، وتبدو لي أنها الأنسب للاقتراب من حياة الحكيم. لأن (تلك المباهج) لديها حسابًا مصرفيًا مع الأرض،** التي لا ترفض أبدًا السحب منها، كما أنها لا ترد ما تلقته من إيداع إلا وهو مصحوبًا بالفائدة، ويكون الربح في بعض الأحيان قليلًا، ولكنه في أغلب الأحوال يكون كبيرًا."

هنا استعارتان مكنيتان وتشبيه:

الأولى في قوله: "مباهج المزارعين، التي أجد فيها متعة لا يمكن وصفها."

" **voluptates agricolarum, quibus ego incredibiliter delector**;"

المستعار له: مباهج **(voluptas) voluptates** .

المستعار منه: الإنسان **homo** .

المستعار: أجد فيها متعة لا يمكن وصفها **ego incredibiliter delector** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التشخيص؛ حيث شبه المباهج بالإنسان السعيد أو بالبشرى السعيدة، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو الفرح على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها المتعة التى لا يمكن وصفها.

أيضًا قوله " مباهج المزارعين " فيها مجاز مرسل حيث يذكر الشخص ويريد المكان.

والثانية في قوله: " مباهج المزارعين ، ... والتي لا تعوقها الشيخوخة أبدًا."
"voluptates agricolarum, …. quae nec ulla impediuntur senectute"
المستعار له: مباهج **voluptates (voluptas)** .
المستعار منه: الإنسان **homo** .
المستعار: تعوقها (أعوق) **impediuntur (impedio)** .
وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح؛ حين يشبه المباهج بالإنسان، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه فجعل الإعاقة على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة عدم إعاقة الإنسان أمام وجود متع الحياة.
والتشبيه في قوله: "لأن (تلك المباهج) لديها حسابًا مصرفيًا مع الأرض."
" habent enim rationem cum terra."
المشبه: حسي من المبصرات وهو: مباهج **voluptates** .
المشبه به: عقلي وهو: حساب (مصرفي) **rationem** .
أداة التشبيه: الفعل تُشبه **accedere** .
وجه الشبه: العطاء والمنح اللذان يجلبان السعادة والسرور.
وسر جمال هذا التشبيه هو التوضيح، وهذا التشبيه مُجمل حيث شبه المباهج بالحساب المصرفي الذى يعود على صاحبه برأس المال ومعه الربح.

رابعًا: تشبيهات واستعارات عن إنبات البذور الزراعية ومقارنتها بإنجاب الأطفال.

حاول شيشرون (من خلال استكمال حديثه على لسان كاتو الأكبر) الربط والمقارنة بين غرس المحاصيل ونموها وحصادها ومباهجها وبين الإنسان منذ بداية الحمل فيه وولادته وطفولته وشبابه وشيخوخته تارة على سبيل الاستعارة، وتارة آخرى على سبيل التشبيه[٥٢] مستخدمًا أروع الكلمات في ذلك بأقواله الآتية:

"quamquam me quidem non fructus modo, sed etiam ipsius **terrae vis ac natura** delectat. **Quae cum gremio mollito ac subacto**

[52] Allen. k., (1998), p.438.

sparsum semen excepit, primum id occaecatum cohibet, **ex quo occatio** quae hoc efficit nominata est, **deinde tepefactum vapore** et compressu suo diffundit et **elicit herbescentem ex eo viriditatem**, quae nixa fibris stirpium **sensim adolescit culmoque erecta geniculato vaginis iam quasi pubescens includitur;** ex quibus cum emersit, fundit frugem spici ordine structam et contra avium minorum morsus munitur vallo aristarum." (Cic. De Senect.,XIV. 51)

" ومع ذلك فإن الثمار لا تبهجني وحدها حقًا، بل إن قوة **الأرض** ذاتها وطبيعتها تبهجني أيضًا. **فهى (الأرض) تتلقى البذرة التي يتم إلقاؤها وغرسها في رحمها الرطب، ففي البداية تضم البذرة (وتظل) متوارية** عن الأنظار بالمعول، الذي من اسمه تشتق كلمة **حرث** الأرض بالمعول اسمها؛ ومن ثم، فإنه بعد أن **تشعر البذرة بالدفء** بفضل حرارة (الأرض) وحضنها، فإنها تجعلها تتمدد وينبت منها برعم (عود) أخضر، الذي بعون من جذره الليفي ينمو تدريجيًا إلى أن **يقف منتصبًا على ساقه ذي العقد، ولكونه لا يزال صغيرًا فإنه يحيط نفسه بأغلفة، وكأنه يحمي نفسه؛** وعندما تنمو الحبة من تلك الأغلفة تخرج الثمرة في صورة منظمة على هيئة صف من سنابل القمح، (التى) تحمي نفسها بغلاف من الشواشي ضد نقرات الطيور الصغيرة (الجارحة)."

توجد هنا استعارتان مكنيتان وتشبيه واحد:

الاستعارة الأولى في قوله:

"فهى (الأرض) تتلقى البذرة التي يتم إلقاؤها وغرسها في رحمها الرطب،"

"**quae cum gremio mollito ac subacto sparsum semen except**."

المستعار له: رحمها الرطب (أرطب) **(mollio) gremio mollito** .

المستعار منه: رحم الأم **gremium matris** .

المستعار: يلقى (ألقى) **(spargo) sparsum**. ويغرس (أغرس) **(subigo) subacto** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح؛ حين يشبه شيشرون باطن الأرض الرطب برحم الأم، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإنبات والولادة والتجدد على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها الإلقاء والغرس.

والاستعارة الثانية في قوله:

"تشعر البذور بالدفء" "**semen… dein tepefactum vapore** "

المستعار له: البذرة.**semen** (وهذه الكلمة تعني أيضًا مَنيٌ أو ماء الرجل)

المستعار منه: بمَنيٌ الرجل **sperma viri** .

المستعار: الشعور بالدفء **tepefactum (tepefacio) vapore** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التشخيص؛ لأن شيشرون يُشبه البذرة بمَنىٌ الرجل، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشعور بالدفء على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها الشعور لدى الإنسان والنبات.

والفقرة كلها في الاستعارتين بها تشبيه تمثيلى حيث يشبه الأرض نفسها والتي تستقبل البذرة، التي يتم القاؤها وغرسها في رحمها الرطب، وتظل هذه البذرة في البداية متوارية، وشعور البذرة بالدفء. شبه كل هذا بمنى الرجل الذى يُقذف في رحم الأم، ومن ثم يحدث الحمل والإنجاب.

يستخدم شيشرون في عبارة " ففي البداية تضم البذرة (وتظل) متوارية."

primum id occaecatum cohibet " الفعل أوارى (أخفي) **occatio (occo)**، وترجمته حرفيًا بمعنى مخفية، واشتقاق هذه الكلمة خاصة بتمشيط التربة التي تدفن فيها البذرة، فشيشرون كان يميل إلى استخدام الكلمات الاشتقاقية لغرض التشابه. [٥٣]

أما التشبيه ففي قوله: " البرعم (العود) الأخضر.... يقف منتصبًا على ساقه ذي العقد، ولكونه لا يزال صغيرًا فإنه يحيط نفسه بأغلفة وكأنه يحمي نفسه."

"**sensim adulescit culmoque erecta geniculato vaginis iam quasi pubescens includitur;**"

المشبه: حسي من المبصرات وهو: البرعم الأخضر. **herbescentem viriditatem**.

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: بالإنسان الذى يحمي نفسه بالأغطية.

pubescens includitur.

أداة التشبيه: كأنه **quasi**

[53] Russo. F., (2009)., "L'elogio delle voluptates agricolarum nel Cato Maior di Cicerone", MDATC. 62. Université de Liège. p.99.

وجه الشبه: الإحاطة والحماية حتى يتم النمو والنضج.

استطاع شيشرون أن يُبنى الاستعارة على المقارنة شأنها شأن التشبيه، لكن الاستعارة تمتاز عن التشبيه أنها تعتمد على الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة، فالعلاقة بينهما المقارنة، وبالإضافة أن الاستعارة تعتمد على الكلمة والمعنى المستتر في نفس الشاعر.[٥٤]

خامسًا– تشبيهات واستعارات من زراعة العنب (الكروم)

ينتقل شيشرون بحديثه على لسان كاتو الأكبر عن الزراعة بصفة عامة إلى الحديث عن زراعة الكروم بصفة خاصة، ويستفيض في الحديث عنه. يوضح شيشرون أن ما تجود به الأرض ماهو إلا ثمرة القوة الكامنة داخلها، وقد تحدث عن كل هذا في السطور التالية:

"Quid ego vitium ortus satus incrementa commemorem? Satiari delectatione non possum, ut meae senectutis requiem oblectamentumque noscatis. omitto enim vim ipsam omnium quae **generantur e terra;** quae ex fici tantulo grano aut ex acini vinaceo aut ex ceterarum frugum aut stirpium minutissimis seminibus tantos truncos ramosque procreet; malleoli plantae sarmenta viviradices propagines nonne ea efficiunt ut quemvis cum admiratione delectent? **Vitis** quidem quae natura caduca est et nisi fulta est, fertur ad terram, eadem ut se erigat, claviculis suis **quasi manibus quicquid est nacta complectitur; quam serpentem multiplici lapsu et erratico, ferro amputans coercet ars agricolarum, ne silvescat sarmentis et in omnes partes nimia fundatur**." (Cic. De Senect., XV. 52)

" لماذا أتناول بالذكر أصل أشجار الكروم وزراعته ونموه؟ فإنني لا يمكنني أن أشبع من هذه المتعة، فلعلكم تعرفون سبب شعوري بالراحة والبهجة في شيخوختي. **سوف أتجاوز الحديث عن تلك القوة الكامنة لكل الأشياء التي تولد (أو تنبت) من الأرض،** تلك القوة التي تنتج جذوع ضخمة وأفنان من بذرة تين ضئيلة الحجم، ومن بذرة عنب، أو من البذور المتناهية الصغر لسائر الفاكهة والنباتات؛ ألا يتسبب غرس البراعم

[54] Brooke. R. Ch., (1998), A Grammar of Metaphor, London. p.38.

والشتلات والفروع الصغيرة والأغصان الصغيرة في شعور إنسان ما بالسعادة والإعجاب. والحق أن **شجرة الكروم** التي بطبيعتها تسقط وتتمدد على الأرض إن لم يتم دعمها بدعامة، وبذلك تتمكن من رفع نفسها بتعريشاتها **التي تشبه الأيادي وتحضن أي دعامة تدعمها، وتمنع مهارة المزارعين تلك الأفعى (أي شجرة الكروم) من الزحف في أماكن عديدة ومن الانتشار على غير هدى، وذلك بتقليمها بالفأس (بالبلطة)، كى لا تتوحش مثل أشجار الغابة بفروعها الكثيفة** وتنتشر بعيدًا في كل اتجاه."

توجد في الفقرة السابقة أربع استعارات وتشبيهان:

الاستعارة الأولى مكنية وهى في قوله:

" تولد (أو تنبت) من الأرض" "**generantur e terra** "

المستعار له: الأرض **terra** .

المستعار منه: الإنسان **homo** .

المستعار: تجود (أنبت) **generantur (genero)** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التشخيص؛ حيث يشبه شيشرون الأرض بالإنسان، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإنسان القوي الكريم على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها الإنبات والجود.

وفيما يبدو أن شيشرون قد لاحظ أن هناك قوة خفية تحول البذور الضعيفة لأي نبات إلى جذوع قوية وأشجار باسقة بأشكال وألوان وروائح مختلفة عن بعضها البعض.(٥٥)

التشبيه الأول في قوله:

شجرة الكروم.. التي تشبه الأيادي **vitis…. quasi manibus.**

المشبه: حسي من المبصرات وهو: شجرة الكروم **vitis** .

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: الأيادي **manibus** .

أداة التشبيه: تشبه **quasi** .

[55] Bouson. R., J., (1980), Metaphor and Simile, Ph.D, Illinois Uni. p.65.

وجه الشبه: العلو والارتفاع؛ وسر جمال هذا التشبيه هو التوضيح؛ وهو تشبيه بديع، وأصل التشبيه شجرة الكروم، لأنه يُشبه بالأيادي المرفوعة في تمددها وهيئتها.

والاستعارة الثانية مكنية وهى في قوله: "وتحتضن أي دعامة تدعمها."

"quicquid est nacta, complectitur; "

المستعار له: شجرة الكروم **vitis** .

المستعار منه: الأم **mater** .

المستعار: تحتضن (أحضن) **complectitur (complector)** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التشخيص؛ حيث يشبه شيشرون شجرة الكروم بالأم، وهو المشبه به المحذوف، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو تحضن مثلما تحضن الأم أبناءها على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها الحضن والعناق.

والاستعارة الثالثة وهى تصريحية والتشبية الثانى في عبارة:

"وتمنع مهارة المزارعين تلك الأفعى (أي شجرة الكروم) من الزحف في أماكن عديدة ومن الانتشار على غير هدى وذلك بتقليمها بالفأس (بالبلطة)،"

"quam serpentem multiplici lapsu et erratico ferro amputans coercet ars agricolarum,"

المستعار له: شجرة الكروم.**vitis** .

المستعار منه: تلك الأفعى **quam serpentem** .

المستعار: الزحف في أماكن عديدة والانتشار **multiplici lapsu et erratico** .

فقد حُذف المشبه وهو شجرة الكروم (المستعار له)، وصُرح بالمشبه به وهو الأفعى (المستعار منه) التي يتحملها الإنسان على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث جعل شجرة الكروم كالأفعى التي تزحف في أماكن عديدة، والقرينة الزحف والانتشار.

والتشبيه يكون كذلك:

المشبه: حسي من المبصرات وهو: شجرة الكروم **vitis** .

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: الأفعى **serpentem** .

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الزحف والانتشار. وسر جمال التشبيه هنا التوضيح. وبما أنه يوجد المشبه والمشبه به ووجه الشبه، وأداة التشبيه محذوفة. فهذا تشبيه مؤكد.

الاستعارة الرابعة تصريحية وهى في قوله:

" كى لا تتوحش مثل أشجار الغابة" **"ne silvescat sarmentis "**

المستعار له: (حيوانات أو نباتات) برية **bestia.**

المستعار منه: شجرة الكروم **vitis** .

المستعار: تتوحش **silvescat** .

فقد حُذف المشبه وهو (حيوانات أو نباتات) برية (المستعار له)، وصُرح بالمشبه به وهو شجرة الكروم (المستعار منه) التي تتوحش مثل أشجار الغابة على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة تتوحش.

وفي قوله: بتقليمها بالفأس (بالبلطة) **ferro amputans** يُشير إلى أن المزارعين يقومون بتنفيذ عملية تقليم أشجار العنب[٥٦] من أجل مساعدة النبات على إنتاج نمو أفضل للثمار في الموسم المقبل، وأيضًا لكي تنمو الأشجار بشكل طبيعي وسليم من خلال إزالة الأغصان المريضة والضعيفة والضارة والفاسدة والتي تعرضت لمرض معين أو لعاصفة هوائية قوية أدت لكسرها. مما يعطي فرصة أكبر للبراعم حتى تنمو جيدًا، بالإضافة إلى أنها تحدد الهيكل الخارجي لهذه الأشجار، وتبقيها مرتبة ومنظمة.[٥٧]

بعد حديث شيشرون عن زراعة العنب وعن تقليم أشجاره، يستكمل حديثه بعد ذلك عن ثمار العنب وعناقيده، وعن الشئون الريفية حين يقول:

"Itaque ineunte vere in iis quae relicta sunt, exsistit tamquam ad articulos sarmentorum **ea quae gemma dicitur, a qua oriens uva se ostendit**, quae et suco terrae et calore solis augescens primo est peracerba gustatu, dein

[٥٦] تقليم العنب نوعان. التقليم الأخضر: ويحدث في فصل الصيف، لأن أشجار العنب تكون نشطة جدًا؛ والتقليم الجاف: ويحدث في فصل الشتاء، بحيث تُقص الأغصان الموجودة على الشجرة، والتي لا يتجاوز عمرها العام، انظر: https://mawdoo3.com. https://www.hoqoool.com.,

[57] Russo. F., (2009)., p.79.

maturata dulcescit **vestitaque pampinis** nec modico tepore caret et nimios solis **defendit** ardores**. Qua quid potest esse cum fructu laetius tum aspectu pulchrius?**
Cuius quidem non utilitas me solum, ut ante dixi, sed etiam cultura et natura ipsa delectate: adminiculorum ordines, **capitum iugatio, religatio** et propagatio vitium, sarmentorum ea, quam dixi, aliorum amputatio, aliorum immissio.
Quid ego irrigationes, quid fossiones agri repastinationesque proferam, quibus fit multo terra fecundior? Quid de utilitate loquar stercorandi? dixi in eo libro quem de rebus rusticis scripsi. De qua doctus Hesiodus ne verbum quidem fecit, cum de cultura agri scriberet. At Homerus, qui multis ut mihi videtur ante saeculis fuit, Laertem lenientem desiderium quod capiebat e filio, colentem agrum et eum stercorantem facit. **Nec vero segetibus solum et pratis et vineis et arbustis res rusticae laetae sunt,** sed hortis etiam et pomariis, tum pecudum pastu, apium examinibus, florum omnium varietate. **Nec consitiones modo delectant, sed etiam insitiones,** quibus nihil invenit agri cultura sollertius." (Cic. De Senect.,XV. 53., 54)

"وعلى ذلك، ومع قدوم فصل الربيع فإنه في تلك (الفروع) التي بقيت (بعد تقليمها) ينبت في عقد الأغصان الصغيرة **ذلك البرعم الذي نطلق عليه اسم الجوهرة، والذي يخرج منه عنقود العنب،** الذي ينمو بفعل رطوبة الأرض وحرارة الشمس، ويكون في البداية مر المذاق، وبعد ذلك يصير حلوًا بعد نضجه، **ولأنه يتدثر بأوراق العنب** فإنه لا يفتقر إلى الحرارة المعتدلة، **ويحمي بها نفسه** من أشعة الشمس الشديدة. **وعليه ماذا يمكن أن يكون أكثر بهجة من ثمار العنب، وأكثر منها جمالًا للرؤية؟**
والحق إن ما يجلب البهجة، كما سبق أن قلت، ليس فقط الفائدة من هذه الشجرة، بل أيضًا عملية زراعتها وطبيعتها الخاصة: أعواد الدعامات الموضوعة في صفوف منتظمة، **وربط رؤوسها وشدها بعضها البعض (بشرائط)،** وربط شجيرات الكروم وتوجيهها لتتمدد، وتقليم بعض الفروع، كما سبق أن أشرنا، وترك البعض الآخر لتنمو. ولماذا أتناول بالذكر الري، والعزق المتكرر للتربة، اللذين من خلالهما تصير الأرض أكثر خصوبة بكثير؟ ولماذا أتحدث عن الفائدة من تسميد الأرض؟[٥٨] فقد

[٥٨] يكون تسميد الأرض بإضافة الأسمدة إلى التربة بهدف زيادة خصوبتها لرفع الإنتاج الزراعي ويستخدم لجودة التسميد أسمدة كيميائية أو عضوية، راجع:. https://www.hoqoool.com

تناولت هذه الموضوعات في كتابي الذي ألفته عن الشئون الزراعية.[٥٩] حول هذا الموضوع لم يكتب هسيودوس المثقف ولا كلمة، رغم أنه كتب عن زراعة الحقول. في حين أن هوميروس الذي، كما يبدو لي، كان يعيش قبله بأجيالٍ عديدة، قدم لائيرتيس وهو يحاول التخفيف من حزنه (على غياب أوديسيوس) الذي استحوذ عليه لغياب ابنه، وذلك بزراعة حقله وتسميده. **إن الشئون الريفية مبهجة، ليس فقط فيما يتعلق بحقول القمح والمروج وحقول العنب والأراضي المزروعة بالأشجار**، بل أيضًا فيما يتعلق بالحدائق والبساتين وتربية الماشية وأسراب النحل وتنوع كل الزهور. **والزراعات لا تجلب السعادة وحدها، بل أيضًا تطعم النباتات**، التي لم يتم ابتكار أي شيء في الزراعة يحتاج إلى مهارة أكثر منها."

والفقرة السابقة بها خمس استعارات مكنية وتشبيه واحد:

الاستعارة الأولى في قوله: "ذلك البرعم الذي نطلق عليه اسم الجوهرة.**gemma** ،

والذي يخرج منه عنقود العنب،..... يتدثر بأوراق العنب.... ويحمي بها نفسه."

"ea quae gemma dicitur, a qua oriens uva se ostendit…. vestitaque pampinis…. defendit."

المستعار له: أوراق العنب **pampinis(pampinus)** .

المستعار منه: الثوب أو الملبس **vestimentum** .

المستعار: يتدثر بأوراق العنب **vestitaque (vestio) pampinis** ، ويحمي بها نفسه **defendit**

[٥٩] قوله فى كتابى: عن الشئون الزراعية De Re Rustica (de rebus rusticis)، حيث إن كاتو الأكبر كان يقدر سحر الحياة الريفية. ولقد كان شيشرون على حق في تصوير كاتو الأكبر على أنه يتصف بالحكمة فيما يتعلق بأمر السماد. يضاف إلى ذلك أن الحياة الريفية تكون أكثر بهجة بعد تسميد الحقول، خاصة مَزَراع العنب وما بها من مجموعات متنوعة من الزهور، فالمُزارَع لا يجد متعة فقط في أساليب الزراعة فقط بل في أساليب تطعيم النباتات...انظر:

Hollander. D. B., (2019)., pp.15-16., Farmer. V., (1918), Roman Farm Management. The Treatises of Cato and Varro. Done into English, with Notes of Modern Instances. The Macmillan Company. New York. p.79.

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح؛ حيث يشبه شيشرون أوراق العنب بالثوب أو الملابس، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإنسان المتدثر في ثيابه والذى يحمى نفسه بها على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها التدثر أو المُلتف بالثياب والحامى نفسه بها.

التشبيه في قوله:

"ماذا يمكن أن يكون أكثر بهجة من ثمار العنب، وأكثر منها جمالًا للرؤية؟"

"qua quid potest esse cum fructu laetius tum aspectu pulchrius?"

المشبه: حسي من المبصرات وهو: ثمرة العنب **fructu** .

المشبه به: حسي من المبصرات وهو:

أكثر بهجة.**laetius** ، وأكثر جمالًا.**pulchrius** .

أداة التشبيه: محذوفة. ووجه الشبه: محذوف أيضًا، وبذلك يكون التشبيه بليغًا.

وهنا يستخدم شيشرون التشبيه المقارن **(Comparative Simile)**، للصفتين المقارنتين. **(laetius pulchrius (laetus pulcher**

والاستعارة الثانية في قوله: "والحق إن ما يجلب البهجة، كما سبق أن قلت، ليس فقط الفائدة من هذه الشجرة، بل أيضًا عملية زراعتها وطبيعتها الخاصة."

"cuius quidem non utilitas me solum ut ante dixi, sed etiam cultura et natura ipsa delectate."

المستعار له: الزراعة وطبيعتها الخاصة **cultura et natura ipsa** .

المستعار منه: الإنسان **homo** .

المستعار: ما يجلب البهجة **delectat** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح؛ حيث يشبه شيشرون الزراعة وطبيعتها الخاصة بالإنسان، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو البهجة على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها الابتهاج.

والاستعارة الثالثة في قوله:

"وربط رؤوسها وشدها بعضها البعض"."**capitum iugatio, religatio** "

المستعار له: الرؤوس **capitum** .

المستعار منه: الثمرة **fructus** .

المستعار: وربط **(religatio) religatio** . والشد (بحبل مثلًا) **iugatio.**

وسر جمال هذه الاستعارة هو التشخيص؛ حيث يشبه الرؤوس بالثمرات،[٦٠] وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه فجعل الرؤوس وربطها ببعضها على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة الربط.

والاستعارة الرابعة في قوله:

"إن الشئون الريفية مبهجة" "**res rusticae laetae sunt**"

المستعار له: الشئون الريفية **res rusticae** .

المستعار منه: الإنسان **homo** .

المستعار: لا تصبح مبهجة **nec... laetae sunt** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح؛ حيث يشبه شيشرون الحياة الريفية بالإنسان، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو البهجة، كما هى عند الإنسان البهيج على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها البهجة.

والاستعارة الخامسة في قوله:

"والزراعات لا تجلب السعادة وحدها، بل أيضًا تطعم النباتات."

" Nec consitiones modo delectant, sed etiam insitiones, quibus nihil invenit agri cultura sollertius."

المستعار له: الزراعات وتطعم النباتات،**consitiones, insitiones** .

المستعار منه: الإنسان.**homo** .

المستعار: لا تجلب السعادة وحدها.**nec... modo delectant** .

---

[٦٠] يرى الباحث أن مثل هذه العبارة التى بها استعارة تشبه العبارة التى قالها الحجاج بن يوسف الثقفي في إحدى خطبه، والتى بها أيضًا استعارة مكنية " إنى أرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها وإنى لصاحبها"...انظر: الجاحظ (١٩٩٨)، ص٣٤٦.

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح؛ حيث يشبه شيشرون الزراعات وتطعيم النباتات بالإنسان، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الفرح والسرور، كما هو الحال عند الإنسان السعيد على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها السعادة.

إن للحياة الريفية محاسنًا عديدة، فهى تعطي الإنسان الشعور بالسعادة والهدوء النفسي، وقد تحدث شيشرون عن محاسن الحياة الريفية ومزاياها؛ وربما يرجع حديث شيشرون عن الزراعة بصفة عامة لحبه لحياة الريف، وبصفة خاصة زراعة الكروم؛ وليس هذا فقط بل أيضًا لدرايته ولمعرفته بكل مايتعلق بالزراعة وهو ما نراه في قوله:

"Possum persequi permulta oblectamenta rerum rusticarum, sed ea ipsa quae dixi sentio fuisse longiora. Ignoscetis autem; nam et studio rerum rusticarum provectus sum. " (Cic. De Senect., XV.55)

"بمقدوري أن استرسل في الحديث عن مباهج الزراعة العديدة، إلا أنني أشعر أن الأشياء التي ذكرتها بالفعل كانت جد طويلة. على أية حال؛ التمسا لي العذر، لأنني واصلت الحديث بسبب حماسي للشئون الريفية."

أما عن تأثر شيشرون بهوميروس، فهذا مانفهمه من إشارته إلى ملحمة "الأوديسية" إذ إنه تحدث عنها في الأوديسية، أثناء إشارته إلى لائيرتيس Laertes والد أوديسيوس Ὀδυσσευς الذى كان يقوم بزراعة أرضه بنفسه في محاولة منه للتخفيف من أحزانه أثناء غياب ابنه.[٦١]

يذكر شيشرون بعد ذلك بأنه لايوجد شعور أكثر سعادة يمكن أن يشعر بها المزارعون إلا من خلال الزراعة، فمهارة زراعة الحقول تعتبر صحية لجميع البشر،

---

[61] Cf., Hom., Od. XXIV. 205-207., Tolf. J. S., (1999), p.65.

οἱ δ' ἐπεὶ ἐκ πόλιος κατέβαν, τάχα δ' ἀγρὸν ἵκοντο
καλὸν Λαέρταο τετυγμένον, ὅν ῥά ποτ' αὐτὸς
Λαέρτης κτεάτισσεν, ἐπεὶ μάλα πολλὰ μόγησεν.

" لكن أوديسيوس وأتباعه، عندما انصرفوا من المدينة، وصلوا بسرعة
إلى مزرعة لائيرتيس الجميلة الجيدة التنسيق، التى كسبها
لائيرتيس لنفسه فى الأيام الخوالى، والتى عمل كثيرًا من أجلها."

كما أن المخزون الوفير الذي يكون مطلوبًا لغذاء البشر يُعد أيضًا من المتع، فقد نصل مجددًا إلى نعمة الحمدٌ فالمزارع النشط لابد وأن يمتلك مخزن نبيذ كامل وحافظة طعام، وتكون المزرعة كلها زاخرة ومليئة بالخنازير والجِدَاء(الجديان) والخراف والطيور والألبان والجبن، والعسل.[٦٢] وإذا تحقق له ذلك فلابد وأن يكون لديه بستانٌ آخر يحتوى على أطعمة الشتاء كما في قوله:

"Iam hortum ipsi agricolae "succidiam alteram" appellant. Conditiora facit haec supervacaneis etiam operis aucupium atque venatio.
Quid de pratorum viriditate aut arborum ordinibus aut vinearum olivetorumve specie plura dicam? Brevi praecidam: **Agro bene culto nihil potest esse nec usu uberius nec specie ornatius; ad quem fruendum non modo non retardat**, **verum etiam invitat atque adlectat senectus**. Ubi enim potest illa aetas aut calescere vel apricatione melius vel igni, aut vicissim umbris aquisve refrigerari salubrius? "(Cic. De Senect., XVI. 56.,57)

" وهناك أيضًا الحديقة التي يطلق عليها الفلاحون أنفسهم اسم " المخزن الثاني للحم المقدد". هذا كما أن صيد الطيور وصيد الحيوانات في أوقات الفراغ يقدمان تلك الوجبات الشهية جدًا. لماذا أقول المزيد عن اخضرار المروج أو صفوف الأشجار أو جمال بساتين الكروم أو الزيتون؟ سوف أكون موجزًا. **لا شيء يمكن أن يكون أكثر سخاءً من حيث المنفعة وأكثر جاذبية للعين من الحقل المزروع بعناية، (الحقل) الذي لا تعوق الشيخوخة الاستمتاع به فحسب، بل إنها تدعو وتحث على الاستمتاع به؛** لأنه في أي مكان آخر يمكن لذلك السن أن ينعم بشكل أفضل بالدفء سواء من أشعة الشمس أو من المدفأة (في الشتاء)، أو على العكس من ذلك (في الصيف) ينعش نفسه على نحو جد صحي بالظلال أو بالمياه الجارية؟ "

توجد في الفقرة السابقة استعارتان مكنيتان وتشبيه ومجاز مرسل من خلال العبارة الآتية:

[62] Cf. Cic. De Senect.,XVI. 56.

في محاورة "عن الشيخوخة"

"لا شيء يمكن أن يكون أكثر سخاءً من حيث المنفعة وأكثر جاذبية للعين من الحقل المزروع بعناية، (الحقل) الذي لا تعوق الشيخوخة الاستمتاع به فحسب، بل إنها تدعو وتحث على الاستمتاع به."

"agro bene culto nihil potest esse nec usu uberius nec specie ornatius; ad quem fruendum non modo non retardat, verum etiam invitat atque adlectat senectus. "

الاستعارة الأولى في قوله:

"لا شيء يمكن أن يكون أكثر سخاءً ... من الحقل المزروع بعناية"

"agro bene culto nihil potest esse .. uberius . "

المستعار له: من الحقل المزروع بعناية.**agro bene culto** .

المستعار منه: المال **pecunia** .

المستعار: أكثر سخاءً **uberius.** ومن صفات هذه الصفة الغنى، والثراء.

وسر جمال هذه الاستعارة هو التجسيم؛ حيث يشبه شيشرون الحقل المزروع بعناية بالمال، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو الثراء على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة الدالة على الاستعارة هى السخاء والغنى اللذان يتفاخر الإنسان بهما.

والتشبيه في قوله:

"لا شيء يمكن أن يكون أكثر سخاءً من حيث المنفعة وأكثر جاذبية للعين."

"**nihil potest esse nec usu uberius nec specie ornatius;"**

المشبه: حسي من المبصرات وهو: من حيث المنفعة **usu** .

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: أكثر سخاءً، وأكثر جاذبية. **uberius ..ornatius**

أداة التشبية: محذوفة. ووجه الشبه: محذوف أيضًا، وبذلك يكون تشبيهًا بليغًا.

وهنا استخدم شيشرون التشبيه المقارن **(Comparative Simile)**، للصفتين المقارنتين **uberius ..ornatius (uber ornatus)**

والاستعارة الثانية في قوله:

"الحقل المزروع بعناية، الذي لا تعوق الشيخوخة الاستمتاع به."

"agro bene culto… ad quem fruendum non modo non retardat."

المستعار له: الحقل المزروع بعناية **agro bene culto** .

المستعار منه: الإنسان **homo** .

المستعار: يعوق **retardat** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح؛ حيث يشبه شيشرون الحقل الذي تم زراعته جيدًا بالإنسان، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، فجعل الإعاقة على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة عدم إعاقة الإنسان أمام المتعة.

والمجاز في قوله: العين... إنها تدعو وتحث على الاستمتاع به (أى بالحقل المزروع بعناية). فالمقصود الإنسان المستمتع بالمشهد الجميل من خلال العين التي هى جزء من الإنسان. فهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية (جزء من الكل) حيث أطلق الجزء وهو العين التي هى جزء من جسم الإنسان، وأراد الكل وهو الإنسان.

وقوله: الحديقة التي يطلق عليها الفلاحون أنفسهم اسم " المخزن الثاني للحم المقدد ". **succidiam alteram"** . كلمة **"succidia** تعني لحم الخنزير المقدد، ومن الصعب إيجاد أي معنى آخر محتمل لها. ويمكن تفسير الفقرة كالتالي يضع المزارعون مخزونًا من لحم الخنزير المقدد، واللحوم شديدة الملوحة، للشتاء، لإضفاء نكهات على الأطعمة الأخرى. إذ إن الفلاحين كانوا يهتمون بحقولهم لتوفير نكهة مماثلة لفصل الصيف.[٦٣]

يتحدث شيشرون بعد ذلك عن كتب إكسينوفون التي يعتبرها بالغة الأهمية، ولاسيما كتاب له يتحدث فيه عن الزراعة ويحمل عنوان أويكونوميكوس **Oeconomicus** " الضليع في إدارة شئون المنزل"[٦٤]؛ ويتحدث فيه عن سقراط وعن زيارة ليساندروس

[63] Farmer. V., (1918), p. 115.

[٦٤] أويكونوميكوس Οἰκονομικός، هو عمل مخصص لرعاية ممتلكات الأسرة أو رب المنزل.

الإسبرطي **Lysander Lacedaemonius (Λυσάνδρος Λακεδαιμόνιος)** [٦٥] للملك قورش **Cyrus (Κύρος)**[٦٦] الذى أحسن استقباله وضيافته[٦٧] واصطحبه لرؤية مزرعته وما بها من مزروعات كما في قوله:

"Multas ad res perutiles Xenophontis libri sunt; quos legite, quaeso, studiose, ut facitis. **Quam copiose ab eo agri cultura laudatur** in eo libro, qui est de tuenda re familiari, qui Oeconomicus inscribitur! Atque ut intellegatis nihil ei tam regale videri quam studium agri colendi, Socrates in eo libro loquitur cum Critobulo Cyrum minorem, Persarum regem praestantem ingenio atque imperii gloria, cum Lysander Lacedaemonius, vir summae virtutis, venisset ad eum Sardis eique dona a sociis adtulisset, et ceteris in rebus communem erga Lysandrum atque humanum fuisse et **ei quendam consaeptum agrum diligenter consitum ostendisse.** Cum autem admiraretur Lysander et proceritates arborum et directos in quincuncem ordines et humum subactam atque puram et suavitatem odorum qui adflarentur e floribus, tum eum dixisse mirari se non modo diligentiam, sed etiam sollertiam eius a quo essent illa dimensa atque discripta; " (Cic. De Senect., XVI. 59)

" إن كتب إكسينوفون مفيدة جدًا في أمور شتى، وأناشدكم أن تقرأوها بحماس، وهو ما تفعلونه بالفعل. **ويا لها من فصاحة مُدحت بها زراعة الحقل** بواسطته في أحد مؤلفاته، الذي يتناول إدارة ممتلكات الأسرة، والذي يحمل عنوان (Οἰκονομικός) Oeconomicus " " الضليع في إدارة شئون البيت ". وكما هو واضح لكم فإنه لا يوجد شيء، كما يبدو له، جد خليق بالملوك أكثر من الاهتمام بزراعة الأرض، وفي هذا العمل يتحدث سقراط مع كريتوبولوس (وقص عليه هذه القصة): قورش الأصغر، ملك الفرس، وكان مشهورًا بالذكاء الشديد وبعظمة سلطانه، عندما أتى إليه في ساردیس

---

[٦٥] ليساندروس الإسبرطي رجل ذو سمعة عسكرية كبيرة: vir summae virtutis، ولكنه كان قاسيًا وخائنًا؛ ويكاد يكون من المستحيل أن يقصد شيشرون إسناد كلمة virtus إليه بالمعنى الأخلاقي المعتاد لها. انظر:

Hollander. D. B., (2019)., p.18.

[٦٦] قورش Cyrus هو قورش الأصغر، وكان ملكًا على الفرس مع أخيه الثاني أرتاكسيريكس Artaxerxes.

[67] Cf. Cic. De Senect., XVII. 59.

ليساندروس الإسبرطي، وهو رجل غاية في الاحترام، وكان يحمل إليه هدايا من الحلفاء، وبالتالي فقد حظي ليساندروس بكرم الوفادة المعتاد، وذلك لشخصه ولكونه ضيفًا، ومن بين أمور الترحيب الأخرى **أنه جعله يرى حقلًا مكسوًا بالزروع بعناية فائقة.** وبعد أن أبدى ليساندروس إعجابه بارتفاع الأشجار، ووضعها في صفوف يتكون كل صف (منها) من خمس أشجار، وإعجابه بالأرض المحروثة بعناية والنظيفة، وبالروائح الذكية التي تنبعث من الزهور، عندئذ قال له إنه يبدي إعجابه ليس فقط بالجهد المبذول في الحديقة، بل أيضًا ببراعة ذلك الرجل الذي بواسطته تم تخطيط وتنسيق هذه الأرض."

توجد في الفقرة السابقة استعاراتان:

الاستعارة الأولى تصريحية في قوله: "ويا لها من فصاحة مُدحت بها زراعة الحقل."

"**quam copiose ab eo agri cultura laudatur.** "

المستعار له: اللسان **lingua** .

المستعار منه: الفصاحة **copiose (copiosus) (Adj)** .

المستعار: مُدحت **laudatur** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح، حيث حُذف المشبه وهو اللسان، وصُرح بالمشبه به وهو الفصاحة في المدح على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة المدح.

والاستعارة الثانية مكنية في قوله: " أنه جعله يرى حقلًا مكسوًا بالزروع بعناية فائقة."

"**ei quendam consaeptum agrum diligenter consitum ostendisse.**"

المستعار له: بالزروع (أزرع) **(consero) consitum** .

المستعار منه: الغطاء**(tegimen-minis)** والقماش.

المستعار: مكسوًا (أكسو، أغلف) **(consaepio) consaeptum** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التجسيم، فقد شبه شيشرون الزروع بالغطاء، وهو المشبه به المحذوف، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الغطاء أو القماش الذي يستعمل للكساء والزينة على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها مكسوًا.

في محاورة "عن الشيخوخة"

بعد مدح شيشرون للشيخوخة يحاول أن يُفند الادعاءات التى تقول إن من أدركتهم الشيخوخة يصبحون مدعاة للتجاهل والإهمال والسخرية، أو بخلاء أو مكتئبين وغير مرحين. والحق أن كبار السن غير ذلك، ولكن يرجع الأمر إلى شخصية من تدركه الشيخوخة، فإذا كان الإنسان ذو شخصية محبوبة أو مكروهة فإنه يسير على نفس المنوال حتى في شيخوخته،[٦٨] ويضرب مثلًا على ذلك من مسرحية ترنتيوس "الأخوان" مستخدمًا الخمر المصنوع من عصارة العنب في التشبيه بالشخصيات. فمزج التشبيه بالزارعة بقوله:

"…..in Adelphis sunt. quanta in altero diritas, in altero comitas! **sic se res habet: ut enim non omne vinum, sic non omnis natura vetustate coacescit**." (Cic. De Senect., XVIII. 65)

" في مسرحية "الأخوان". كم كانت لأحدهما شخصية كريهة، وللآخر شخصية لطيفة! فكان الأمر على هذا النحو! **فمثلما أنه ليست كل خمر تفسد بمرور الزمن، فكذلك لا تفسد كل شخصية بتقدمها في العمر**."

يوجد تشبيه في قوله:

فمثلما أنه ليست كل خمر تفسد بمرور الزمن، فكذلك لا تفسد كل شخصية بتقدمها في العمر.

sic se res habet: ut enim non omne vinum, sic non omnis natura vetustate coacescit.

المشبه: حسي من المبصرات وهو: شخصية **res** .

المشبه به: حسي من المذوقات وهو: الخمر **vinum** .

أداة التشبيه: فمثلما، فكذلك **ut . sic** .

وجه الشبه: الإفساد والتلف. وسر جمال التشبيه هنا التشخيص.

إن الفكر البشري فكر استعاري في طبيعته، فالإنسان يمكنه أن يرتب الأفكار الموجودة في ذاكرته والأشياء التي تدور حوله في صور منسقة، وعندما يستعير

[68] Throop. G. R., (1998), p. 298.

الإنسان صورًا من الخيال فإنه يقوم بالربط بين الصورتين، ويتمكن من رؤية الشيء بصورة أكبر وضوحًا وشمولًا بواسطة الاستعارة، وهذا هو ما ظهر عند شيشرون من خلال تشبيهه الربيع بالشباب، وحصاد الشيخوخة بالمحاصيل الزراعية، ويرجع السبب من هذا التشبيه إلى حبه للطبيعة، ولصدق مشاعره وعواطفه ولنشوته في الربيع، وأيضًا لحبه لمشاهدة ألوان الزهور وبراعم المحاصيل الزراعية.[٦٩]

سادسًا– تشبيهات واستعارات زراعية مُقترنة بالموت

يتنقل شيشرون بعد ذلك إلى الحديث عن الموت ويوضح أن الموت لا يقتصر على مرحلة عمرية محددة؛ أي ليس الموت لمن أدركته الشيخوخة فقط، بل يمكن أن يدرك الشباب؛ ويا لها من مصيبة يُصاب بها أهل الشاب عند موته.[٧٠]

يقول شيشرون على لسان كاتو عن موت الشاب:

" لقد تأثرت (بموت) ابنى الغالى **sensi ego in optimo filio,**" [٧١] وقد حدث أيضًا مع سكيبيو الأفريقى عند موت أخويه وهما في ريعان الشباب.[٧٢] يقول شيشرون عن موت الشباب:

"Itaque **adulescentes** mihi **mori sic** videntur, **ut cum aquae multitudine flammae vis opprimitur**, **senes** autem **sic** ut cum **sua sponte, nulla adhibita vi, consumptus ignis extinguitur**; **et quasi poma ex arboribus, cruda si sunt, vix evelluntur, si matura et cocta, decidunt, sic vitam adulescentibus vis aufert, senibus maturitas;**" (Cic. De Senect., XIX. 71)

" وعلى ذلك يبدو **الشباب لي بأنهم يموتون تمامًا مثلما تُطفأ نار المشعل القوية بالكثير من الماء**، لكن **موت الشيوخ يبدو مثل نار استنفدت طاقتها، فهى تخبو بسهولة ويسر دون أي تدخل من قوة خارجية، أو مثل ثمار التفاح يصعب انتزاعها من الأشجار، إن لم تكن قد نضجت، في حين إنها إذا نضجت واكتمل نموها، فإنها**

[69] Brooke. R. Ch., (1998), P. 24.
[70] Perkins. R. L., (1995), p. 284.
[71] Cf., Cic. De Senect., 68.2., Punter. D., (2007), p.153.
[72] Cf., Cic. De Senect., 68.3.

تسقط، وهكذا الحال فإن قوة ما تنتزع الحياة من الشباب بعنف، وينتزع النضج الحياة من الشيوخ؛"

توجد في الفقرة السابقة تشبيهان زراع**يان:**

التشبيه الأول في قوله:

"الشباب يموتون تمامًا... مثل التفاح."

" **adulescentes**... **mori sic… quasi poma** "

المشبه: حسي من المبصرات وهو: الشباب **adulescentes** .

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: وهو: التفاح **poma** .

أداة التشبيه: مثل **quasi** .

وجه الشبه: صغر السن، وكذلك النضج وعدم النضج.

والتشبيه الثانى في قوله: " أو مثل ثمار التفاح يصعب انتزاعها من الأشجار، إن لم تكن قد نضجت، في حين إنها إذا نضجت واكتمل نموها، فإنها تسقط، وهكذا الحال فإن قوة ما تنتزع الحياة من الشباب بعنف، وينتزع النضج الحياة من الشيوخ؛"

"et quasi poma ex arboribus, cruda si sunt, vix evelluntur, si matura et cocta, decidunt, sic vitam adulescentibus vis aufert, senibus maturitas;"

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: مثل ثمار التفاح **poma** .. إن لم تكن قد نضجت **cruda** … إذا نضجت واكتمل نموها**.si matura et cocta .**

المشبه به : حسي من المبصرات وهو: الحياة من الشباب بعنف، والنضج من الشيوخ **vitam adulescentibus…., senibus maturitas;**

أداة التشبيه: بالمثل **quasi** .

وجه الشبه: النضج وغير النضج والزوال بعنف وبغير عنف (النهاية الطبيعية وغير الطبيعية).

ويوجد أيضًا تشبيهان **غير زراعيين**، الأول في قوله:

"الشباب يموتون تمامًا مثلما تُطفأ نار المشعل القوية بالكثير من الماء."

"**adulescentes**… **mori sic… ut cum aquae multitudine flammae vis opprimitur**,

حيث شبه موت الشباب **adulescentes… mori** . بنار المشعل القوية والتي تُطفأ بالكثير من الماء **aquae… flammae vis opprimitur** وأداة التشبيه مثلما **sic** . ووجه الشبه الغياب المفاجىء.

والثاني في قوله: "موت الشيوخ مثل نار استنفدت طاقتها، فهى تخبو بسهولة ويسر دون أي تدخل من قوة خارجية."

sense… sic… sua sponte nulla adhibita vi consumptus ignis extinguitur;

حيث شبه موت الشيوخ **senes… extinguitur** . بالنار التي استنفدت طاقتها فهى تخبو بسهولة ويسر دون أي تدخل من قوة خارجية **sua sponte nulla adhibita vi consumptus ignis** . وأداة التشبيه مثل **sic** . ووجه الشبه التدرج في النمو حتى الزوال.

يضاف إلى ذلك تشبيه موت الشاب في الحرب، بفصل الربيع إذا اقتطع من فصول السنة. فإذا أُستخدمت الاستعارة. فيمكن للإثارة بالفعل أن تتحقق على نحو أفضل من خلالها، وخاصة وأن كانت تصويريًا (أى أن تجعل السامع وكأنه يرى الأشياء).[٧٣]

والحق أن المستمع يقع تحت تأثير الاستعارة وما تنطوي عليه من فكرة جديدة، لأن مزايا الاستعارة تكمن في كونها تزيد من قدر العبارة نُبلًا وبيانًا؛ وتُعطى الكثير من المعانى بالقليل من الالفاظ، كما أنها تخلق بين المتناقضات أوجه شبه، فهى تكاد تجعل من الجماد كائنًا حيًا ينطق ويتحرك، وتجعل المعانى الخفية واضحة جلية، وتجعل من المعانى اللطيفة التي هى من خبايا العقل وكأنها قد جُسمت حتى تراها العيون، وتجعل من الأوصاف الجسمانية معانى روحانية.[٧٤]

[73] Thornton. C. L., (2018), p. 71.

[74] Driven. R., (2009), Metonymy and Metaphor: Different Mental Strategies of Conceptualization, New York. p.58.

سابعًا– تشبيهات واستعارات زراعية مُقترنة بالروح

يتحدث شيشرون بعد ذلك عن الروح ويصفها بقوله:

" est enim **animus caelestis ex altissimo** domicilio depressus et **quasi demersus in terram,** locum divinae naturae aeternitatique contrarium. **Sed credo deos inmortales sparsisse animos in corpora humana**, ut essent qui terras tuerentur quique caelestium ordinem contemplantes imitarentur eum vitae modo atque constantia." (Cic. De Senect., XX.77)

" لأنه في واقع الأمر أن **الروح ذات أصل سماوى** هبطت علينا من مقرها بالغ العلو، **وكأنها قد تم إيداعها (غمرها) داخل الأرض،** ذلك المكان الذي يخالف طبيعتها الإلهية وخلودها، ولكني أعتقد **أن الآلهة الخالدة قد نثروا (قد أودعوا) الأرواح في الأجسام البشرية،** وذلك لكي يتواجد من يقومون برعاية الأرض، وهناك من يقومون، أثناء تدبرهم للنظام السماوي (للأجرام السماوية)، بمحاكاتها في أسلوب حياتهم بجعلها تتسم بالاعتدال والثبات."

توجد في الفقرة السابقة استعارتان مكنيتان:

الاستعارة الأولى في قوله:

"وكأنها قد تم إيداعها داخل الأرض" " **quasi demersus in terram,**"

المستعار له: الأرواح **animos** .

المستعار منه: البذور **semina** .

المستعار: إيداعها (غمرها) **demersus (demergo)** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التجسيم؛ حيث يشبه شيشرون الأرواح بالبذور، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإيداع في الأرض على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة الايداع في الأرض.

والاستعارة الثانية في قوله:

إن الآلهة الخالدين قد نثروا (قد أودعوا) الأرواح في الأجسام البشرية.

deos inmortales sparsisse animos in corpora humana.

المستعار له: الأرواح **animos** .

المستعار منه: البذور **semina** .

المستعار: قد نثروا (قد أودعوا) **(spargo) sparsisse.**

وسر جمال هذه الاستعارة هو التجسيم؛ حيث يشبه شيشرون الأرواح بالبذور، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو النثر أو الإيداع، فجعل الأجسام البشرية مثل تربة تنثر فيها الأرواح على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة الغرس في الأرض.

يبدو من أقوال شيشرون السابقة أنه قد تأثر بأفكار بعض الفلاسفة اليونانيين أمثال فيثاغورس وسقراط، الذين نادوا بأن الأرواح مستمدة من الآلهة، وأن الجسد يفنى، ولكن تظل الروح خالدة لا تفنى.[٧٥]

مما سبق، إذن، يتضح كثرة استخدام شيشرون للتشبيهات والاستعارات الزراعية في محاورة "عن الشيخوخة"، أما فيما يتعلق بالتشبيهات والاستعارات الملاحية فسوف نذكر أربع فقرات تحتوي على تشبيهات واستعارات ملاحية:

الفقرة الأولى: يتحدث كذلك شيشرون على لسان كاتو الأكبر عن نشاط كبار السن وخبرتهم، ويوضح أن مالديهم من الحكمة وقوة الشخصية والحكم المُتزن، هى أمور تزداد بمرور الوقت يقول شيشرون:

"**Nihil** igitur **adferunt** qui in **re gerunda** versari **senectutem** negant, **similesque** sunt, **ut si** qui **gubernatorem in navigando nihil agere dicant**, cum alii malos scandant, alii per foros cursent, alii sentinam exhauriant, ille autem clavum tenens **quietus** sedeat in puppi, non faciat ea quae iuvenes, at vero multo maiora et meliora faciat. Non viribus aut velocitate aut celeritate corporum res magnae geruntur, sed consilio auctoritate sententia**; quibus non modo non orbari, sed etiam augeri senectus solet.** " (Cic. De Senect.,VI. 17)

" وعلى ذلك، **فإن من ينكرون أن سن الشيخوخة حافل بالنشاط في المشاركة في الشأن العام،** ليس لديهم أي برهان على رأيهم، **وهم يشبهون من قد يقولون إن ربان السفينة لا يفعل شيئًا مفيدًا في إبحار(السفينة)،** لأنه بينما يقوم آخرون بتسلق السواري، ويجري آخرون عبر الممرات، ويقوم آخرون بتشغيل مضخات المياه، فإنه

[٧٥] عما قاله شيشرون على لسان كاتو الأكبر عن فناء الجسد، وخلود الروح. انظر:
Cic. De Senect., XXI. 78., XXII.79., 80.

(أى ربان السفينة) يجلس مستريحًا في قمرة السفينة ممسكًا بدفتها؛ لعله لا يفعل الأشياء التي يؤديها الشباب (من طاقم السفينة)، لكنه بحق يفعل أمورًا أعظم وأفضل بكثير، فالأمور العظيمة تُؤدى ليس بالقوة العضلية والرشاقة والسرعة، بل بالحكمة وقوة الشخصية والرأي السديد، **تلك الخصال التي عادة لا تفتقر إليها الشيخوخة، بل إنها تزداد مع التقدم في العمر**."

نجد من خلال الحديث عن نشاط وخبرة الشيوخ تشبيهًا مركبًا واستعارة مكنية:

يوجد التشبيه من خلال قوله:

" فإن من ينكرون أن سن الشيخوخة حافل بالنشاط في المشاركة في الشأن العام، ليس لديهم أي برهان على رأيهم، وهم يشبهون من قد يقولون إن ربان السفينة لا يفعل شيئًا مفيدًا في عملية الإبحار."

"nihil igitur **adferunt** qui in **re gerunda** versari **senectutem** negant, **similesque** sunt, **ut si** qui **gubernatorem in navigando nihil agere dicant**,"

المشبه: حسي من المبصرات وهو: نشاط **re (res)** . والمُسن **senex** .

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: الربان **gubernatorem .**

المشبه: حسي من المبصرات وهو: الشيخوخة **senectutem .**

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: إبحار السفينة **navigando .**

أداة التشبيه: بالمثل **si . ut .similes .**

وجه الشبه: عدم المنفعة.

ويُعد أيضًا هذا تشبيهًا تمثيلًا لقيمة ومكانة أصحاب الخبرة في سن الشيخوخة، كخبرة ومهارة القبطان الذي يقود السفينة، وهو تشبيه حال المُسن بحال القبطان ومكانته.[٧٦]

والاستعارة في قوله:

"تلك الخصال التي عادة لا تفتقر إليها الشيخوخة، بل إنها تزداد مع التقدم في العمر."

"quibus non modo non orbari, sed etiam augeri senectus solet. "

المستعار له: الشيخوخة **senectus .**

[76] Peabody. A. P., (1984), p. 37.

المستعار منه: الزيادة أو النماء **augmen** .

المستعار: تزداد **augeri** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التجسيم.

يستخدم شيشرون الفعل تعتاد **solet** ليجعل الشيخوخة تشبه الإنسان، واستخدم الفعل تزداد **augeri** ، لأن الزيادة والنمو من سمات كل الكائنات الحية، فشبه الشيخوخة بالإنسان الذي يكبر، وهو المشبه به المحذوف، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النمو، على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها النمو والتزايد.

الفقرة الثانية: يقول فيها شيشرون إنه يعاود للحديث عن الفلاحين أو الزراعة مستخدمًا تعبير زراعى مُقترن بتعبير ملاحى بقوله على لسان كاتو الأكبر:

"sed venio ad agricolas, **ne a me ipso recedam.** " (Cic. De Senect.,56.3-4)

"أعود (للحديث) عن الفلاحين، **حتى لا يجرفني التيار بعيدًا (حتى لا أبتعد عن موضوعي الأصلي)**."

في قوله: "حتى لا يجرفني التيار بعيدًا (حتى لا أبتعد عن موضوعي)."

" **ne a me ipso recedam** ". استعارة تصريحية.

المستعار له: المتحدث نفسه (شيشرون) **ipso (Cicerone)** .

المستعار منه: الملاح داخل البحر **nauta in marem.**

المستعار: يجرفني التيار (أبتعد ، أنجرف) **recedam (recedo).**

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح؛ حيث حُذف المشبه، وهو المتحدث نفسه(شيشرون)، وصُرح بالمشبه به وهو الملاح الذي يجرفه التيار بعيدًا عن شاطئ البحر على سبيل الاستعارة التصريحية، فجعل المتحدث نفسه (شيشرون) ملاحًا في البحر، وقرينة الانجراف والابتعاد.

الفقرة الثالثة: يوضح شيشرون الفرق بين الموت عند الشاب والمُسن، ويعطى تشبيهات بديعة عنهما، ثم يشبه نفسه بالملاح عند اقترابه من الموت، ويقول على لسان كاتو الأكبر:

"**Ut, quo propius ad mortem accedam**, **quasi terram videre videar** aliquandoque in portum **ex longa navigatione** esse venturus. " (Cic. De Senect.,XIX. 71)

" لدرجة أنني **كلما اقتربت من الموت** أكثر أصبحت **أبدو (كملاح) يرى الأرض بعد رحلة بحرية طويلة**، وأصبح على وشك أن يدخل الميناء في أي لحظة."

وهنا استعارة مكنية وتشبيه: الاستعارة في قوله:

"كلما اقتربت من الموت أكثر " "**ut quo propius ad mortem accedam** "

المستعار له: الموت **mortem (mors)** .

المستعار منه: الإنسان **homo** .

المستعار: الاقتراب **propius** .

وسر جمال هذه الاستعارة هو التشخيص؛ حيث يشبه شيشرون الموت بإنسان يقترب، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه بقرينة الاقتراب، وهى صفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها الاقتراب أو دنو الأجل.

والتشبيه في قوله: "أبدو (كملاح) يرى الأرض بعد رحلة بحرية طويلة."

"**quasi terram videre videar** .... **ex longa navigatione**."

المشبه: حسي من المبصرات وهو: المتكلم نفسه

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: الملاح **nauta** . بعد رحلة بحرية طويلة **(navigatio)… ex longa navigatione**

أداة التشبيه: أبدو أو أشبه **quasi** .

وجه الشبه: التنقل والترحال؛ وسر جمال هذا التشبيه هو التوضيح.

الفقرة الرابعة: من خلال حديث شيشرون على لسان كاتو الأكبر على أن الشيخوخة فترة من فترات الحياة لا ينبغى أن تكون محفوفة بالمخاوف، بل يجب الاستمتاع بها على أكمل وجه بقدر ما عاشه الشيوخ من سنوات العمر،[٧٧] وقد وضح هذا من

[77] Throop. G. R., (1998), p. 299.

"sed vivendi est finis optimus, cum integra mente certisque sensibus opus ipsa suum eadem quae coagmentavit, **natura** dissolvit. ut navem, ut aedificium idem destruit facillime qui construxit, **sic hominem** eadem optume quae conglutinavit **natura** dissolvit. iam omnis conglutinatio recens aegre, inveterata facile divellitur.
ita fit **ut illud breve vitae reliquum nec avide adpetendum senibus** nec sine causa deserundum sit; " (Cic. De Senect., XX.72)

" إن أفضل خاتمة للحياة، عندما تكون الطبيعة بنفسها هى التي تقضي بالموت على الكيان الذي صنعته، وهو لا يزال يتمتع بعقل راجح وحواس سليمة. **ومثلما أن** الإنسان(وهو الصانع) **يستطيع أن يدمر السفينة أو البناء الذي صنعه، فإن الطبيعة نفسها – بالمثل – هى الأجدر على القضاء على الإنسان الذي خلقته،** وهكذا فمن الصعوبة بمكان هدم كيان جديد، لكن ما أسهل أن يتداعى الكيان القديم. **ولذلك لا ينبغى لكبار السن أن يتشبثوا بالأمد الضئيل المتبقي من العمر،** كما لا ينبغى لهم أن يهدروه بلا مبرر؛ "

يوجد هنا تشبيه واستعارة مكنية: التشبيه في قوله:

"ومثلما أن الإنسان (وهو الصانع) يستطيع أن يدمر السفينة أو البناء الذي صنعه، فإن الطبيعة نفسها بالمثل هى الأجدر على القضاء على الإنسان الذي خلقته."

المشبه: حسي من المبصرات وهو: الإنسان (الصانع) **hominem (homo)** .

المشبه به: حسي من المبصرات وهو: الطبيعة **natura** .

أداة التشبيه: بالمثل **sic** .

وجه الشبه: البناء والهدم، والتحكم والسيطرة؛ وسر جمال هذا التشبيه هو التوضيح؛ وهذا التشبيه تمثيلى حيث يُمثل حال الإنسان بأموره وعلمه بها كحال الطبيعة بما تحدثه في الحياة من مستجدات.

والاستعارة في قوله:

"ولذلك لا ينبغي لكبار السن أن يتشبثوا بالأمد الضئيل المتبقي من العمر."

"ut illud breve vitae reliquum nec avide adpetendum senibus."

المستعار له: الأمد الضئيل.**breve avide** .

المستعار منه: الأمل **spes** .

المستعار: أن يتشبثوا.**adpetendum .**

وسر جمال هذه الاستعارة هو التوضيح، حيث يشبه شيشرون الأمد الضئيل المتبقي من العمر بالأمل، وهو المشبه به المحذوف، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، مثل التمسك بالأمل على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينة الأمد هى التشبث.

نجد – مما سبق – أن شيشرون يتحدث عن الشيخوخة على لسان كاتو الأكبر محاولًا أن يمدحها من خلال تجربته الحياتية، وهذا يتضح من قول كاتو الأكبر لضيفيه سكيبيو الأفريقى ولايليوس في نهاية المحاورة:

Haec habui de senectute quae dicerem; ad quam utinam perveniatis, ut ea quae ex me audistis, re experti probare possitis!" (Cic. De Senect., XXIII. 85)

"**تلك الأفكار التي ذكرتها كانت كل ما لدي عن الشيخوخة؛** وليتكما تبلغانها، لكي يكون بمقدوركما التحقق من خلال التجربة ومن تلك الآراء التي سمعتماها مني."

وهكذا استخدم شيشرون التشبيه والاستعارة في حديثه عن الشيخوخة وفق رؤيته وتأثير حالته النفسية لتكون صورة جديدة مبدعة من إبداعاته التى ليس لها شبيه؛[٧٨] حاول شيشرون في محاورته التخيلية "عن الشيخوخة" أن يجعل من الشيخوخة مرحلة عمرية يمر بها الإنسان وهى مرحلة جميلة ويمكنه الاستمتاع بها، على عكس ما هو معروف لدى البعض أنها مرحلة كئيبة وصعبة؛ وقد نجح شيشرون في ذلك من خلال استخدام الألفاظ التشبيهه والاستعارية بمهارة فائقة.[٧٩]

لقد نظر شيشرون إلى الاستعارة بوصفها واحدة من وسائل التأثير القوى في الكلام، فالاستعارة شكل موجز من التشبيه، وهى في كلمة واحدة، وهذه الكلمة توضع في مكان لا تنتسب إليه، كما لو كان مكانها الأصلي، وإذا كانت قابلة للإدراك فإنها تمنح المتعة، وإذا كانت لا تتضمن تشابهًا فإنها تكون مرفوضة. إن الاستعارة تتفادى كل ما هو غير ملائم، وكل ما هو غامض. والاستعارة في صيغتها "الملائمة" واحدة من

[78] Knights. L., Cottle. B., (1980), Metaphor and Symbol, London. p. 156.
[79] Taylor. R., (2003), Category Extension by Metonymy and Metaphor, edited by: Drivend.R., Ralf Porings. Mounton de Gruyter.Berlin, New York. p. 32.

مجموعة من الصور البلاغية يكون دورها تجميليًا للغة العادية، وهو أكثر الطرق تأثيرًا من أجل تألق الأسلوب وروعته.(٨٠)

النتائج المستخلصة من البحث:

استطاع شيشرون أن يُمزج العبارات المألوفة وغير المألوفة وأن يُظهر الاستعارات في صورة متنوعة. إن الاستعارة تُضيف السحر إلى جانب الوضوح الذي يأتى من الكلمات اليومية المعتادة، ومن الأسلوب الحقيقى أو المنتظم للعبارت التي يستخدمها كل فردٍ في حواره، وسحر الاستعارة ينبع من اللذة العقلية التي تتلقى الصور الجديدة المنطوية في الاستعارة.

حاول شيشرون من خلال استخدامه للاستعارة من تبديل فني لكلمة أو لعبارة من معناها الخاص إلى معنى آخر، كما أنه حاول أيضًا أن يجمع استعارتين أو ثلاث على الأكثر معًا في فقرة واحدة، فالاستعارات بلا شك جزء من الفكرة الأساسية، كما تمكن شيشرون من معالجة مفهوم الاستعارة من وجهة نظر جديدة، مستعينًا بمعطيات التراث البلاغى اليونانى في هذا الميدان، وذلك بهدف تشكيل رؤية جديدة متكاملة لفاعلية الاستعارة في التركيب اللغوي للأدب اللاتينى.

اشتملت الكلمة المستعارة عند شيشرون على الإيجاز والتعظيم والزخرفة. وعكست الحالة الفكرية والوجدانية التي تعتريه؛ ومكّنته من استخراج المعاني اللطيفة المكنونة في عالمه الداخلي وتجيسمها لتُشخص أمام العيون، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدث بل يعمد إلى تشخيص الجامدات، فيخلع عليها مشاعره وعواطفه الإنسانية.

مدح شيشرون الشيخوخة في محاورته التخيلية "عن الشيخوخة" وحاول أن يقدمها بصورة جميلة، وأوضح أن لها فضائل ومزايا، وذلك في مسعى منه للبُعد عن الاستسلام لمتاعب هذه الشيخوخة، وأكد لصديقه تيتوس أتيكوس أن الشيخوخة بعد أن

[80] Croft. W., (2003), The Role of Domains in the Interpretation of Metaphors and Metonymes, edited by: Drivend, R., Ralf Pörings, Mounton de Gruyter, Berlin. New York. p.77.

أدركتهما أصبحت عبءً ثقيلًا ولابد لهما من تحملها، ولايجب الإنزعاج أو الخوف منها، وأن محاورته "عن الشيخوخة" ستكون هدية قيمة يحتفلان بها معًا.

وأوضح شيشرون من خلال الحوار بين كاتو الأكبر وسكيبيو الأفريقى ولايليوس الذى جرى على ألسنتهم أن الشيخوخة تزحف إليهم أسرع مما كانوا يتوقعون، وأنها ثقيلة جدًا، وأن الطبيعة والفضيلة لهما الفضل الأكبر على الإنسان في تحمل أعباء الشيخوخة ووطأتها؛ وأنها يمكن أن تُصبح أفضل مراحل العمر، إذا عاش كبار السن هذه المرحلة بحكمة.

قسم شيشرون من خلال الحديث عن التشبيهات والاستعارات الزراعية في محاورة "عن الشيخوخة" مراحل حياة الإنسان إلى ثلاث مراحل: الطفولة (وهى فترة الضعف)، ومرحلة الشباب (وهى فترة القوة والعنف)، ومرحلة الشيخوخة (وهى فترة النضج)، وكذلك المحاصيل الزراعية لها فترة ضعف ثم قوة وإذدهار ثم نضج. فكل مرحلة سنية لها ثمارها، ولها وقت حصادها؛ وعند الإنسان مرحلة الشيخوخة هى آخر مرحلة سنية وفيها الخبرة والنضج، وهى تُشّبه بالثمار التي يجب حصادها في وقتها. وقد استطاع شيشرون أن يربط بين فصول السنة الأربعة ومراحل حياة الإنسان على اعتبار أن الطبيعة تُشكل حياة البشر وتمكنهم من الاستمتاع بأشياء معينة خلال مرحلة الشباب، وبأشياء أخرى في المراحل السنية المختلفة. وقد استخرج الباحث من خلال الحديث **عن تشبيه مراحل عمر الإنسان بأعمال الزراعة. ثلاثة تشبيهات.**

يتحدث شيشرون عن **الشيخوخة** وعن الشباب وعن نشاط وخبرة الشيوخ الذين يتمتعون بالحكمة وقوة الشخصية والحُكم المُتزن؛ ويوضح أنه بمرور الوقت تزداد حكمتهم ويُصلحون ما يفسده الشباب نتيجة اندفاعهم وتهورهم. ويتحدث شيشرون أيضًا عن نفسه ويقول على لسان كاتو الأكبر:

"sed redeo ad me**. quartum ago annum et octogesimum; "**
(Cic. De Senect., X. 32)

"لكن دعوني أعود إلى الحديث عن نفسي. **فقد بلغت من العمر أربعة وثمانين عامًا،**" ويستطرد حديثه ويقول:

"sed tamen ut vos videtis non plane **me enervavit, non adflixit senectus**," (Cic. De Senect., X. 32)

"لكن، على أية حال، وكما ترون بوضوح فإن **الشيخوخة لم تضعفني ولم تحطمني**،"

وعلى هذا يجب على الإنسان أن يحافظ على نفسه حتى بعدما تدركه الشيخوخة لأنها تحظى بالتوقير والاحترام. وقد أستخرج الباحث من الحديث عن الشيخوخة. **سبع استعارات مكنية واستعارة تصريحية واحدة؛** ومنهم فقرة لا تتعدى ثلاثة سطور بها ثلاث استعارت مكنية واستعارة تصريحية ومجاز وكناية، مما يدل على تمكن شيشرون من الصور البيانية واستيعابها وحُسن استخدامها.

تطرق شيشرون للحديث على لسان كاتو الأكبر للحديث **عن مباهج الزراعة** ومشبهًا مباهج الزراعة بالحساب المصرفي الذى يعود على صاحبه برأس المال ومعه الربح. وقد أستخرج الباحث من الحديث عن مباهج الزراعة **تشبيهًا واحدًا، واستعارتين مكنيتين.**

حاول شيشرون من خلال الحديث عن التشبيهات والاستعارات المرتبطة بإنبات البذور الزراعية وغرس المحاصيل ونموها وحصادها ومباهجها مقارنتها بالإنسان منذ بداية الحمل فيه وولادته وطفولته وشبابه وشيخوخته. وقد أستخرج الباحث من الحديث حول هذا: **تشبيهًا واحدًا، واستعارتين مكنيتين.**

استفاض شيشرون في الحديث عن **زراعة العنب، وعن تقليم أشجاره، وعن التسميد**، وأوضح أن الحياة الريفية مبهجة بحقول الحبوب والمروج ومزارع العنب، وأن لها مزايا عديدة، لأنها تعطى الإنسان الشعور بالسعادة والهدوء النفسي. وربما يرجع حديث شيشرون عن الزراعة بصفة عامة إلى حبه لحياة الريف، وخبرته بالزراعة. فلا يوجد شعور أكثر سعادة يمكن أن يشعر بها المزارعون إلا من خلال الزراعة، فالمهارة من زراعة الحقول تعتبر صحية لجميع البشر، كما أن المخزون الوفير الذى يكون مطلوبًا لغذاء البشر يُعد أيضًا من المتع، فهو يجعل المزارع النشط يشعر بنعمة الحمد، وخاصة من يمتلك مخزن نبيذ كامل، وحافظة طعام، وتكون المزرعة كلها

زاخرة ومليئة بالخيرات. وقد أستخرج الباحث من الحديث **عن زراعة العنب: خمسة تشبيهات، وإحدى عشر استعارة مكنية، واستعارتين تصريحيتين.**

حاول شيشرون من خلال الحديث عن **التشبيهات والاستعارات الزراعية المُقترنة بالموت** أن يؤكد على أن الموت لا يقتصر على الشيوخ، ولا على أى مرحلة عمرية محددة، بل يمكن أن يدرك الشباب؛ ضاربًا مثلًا على ذلك بموت ابنه، وهو صغير السن؛ وأيضًا بموت إخوة سكيبيو، وهما في ريعان الشباب. واستخدم تشبيهات عديدة مثل تشبيه موت الشباب والشيوخ بانتزاع المحاصيل الزراعية الناضجة وغير الناضجة من على الأشجار. ويؤكد أيضًا على أنه لا يجب على المرء أن يخاف من الموت، لأنه نهاية لحياة فانية وبداية لنعيم أبدي، فالموت حقيقة مؤكدة، مع التأكيد على خلود الروح بعد الموت. وقد أستخرج الباحث من الحديث عن الموت: **تشبيهين.**

وأوضح من خلال حديثه عن **التشبيهات والاستعارات الزراعية المُقترنة بالروح** أن الأرواح ماهى إلا عطية وهبة من الآلهة التى منحتها للبشر وزرعتها في أجسامهم، ولذا يجب على المرء أن يعتبر نفسه ضيفًا في هذه الدنيا، يقيم فيها لفترة مؤقته وليست لفترة دائمة، ومن ثم فإن الشيخوخة فرصة لختام حياة سعيدة. وقد أستخرج الباحث من هذا الحديث: **استعارتين مكنيتين.**

وبذلك يكون إجمالى استخدام شيشرون للتشبيهات والاستعارات الزراعية في محاورته التخيلية "عن الشيخوخة" كالآتى: **اثنا عشر تشبيهًا، وأربع وعشرون استعارة مكنية، وثلاث استعارات تصريحية.**

وبالنسبة للتشبيهات والاستعارات الملاحية فقد وُجدت في أربع فقرات:

الفقرة الأولى: من خلال الحديث عن نشاط وخبرة الشيوخ الذين لديهم الحكمة وقوة الشخصية، **وقد تم استخراج تشبيه واحد واستعارة مكنية واحدة.**

والفقرة الثانية: من خلال استخدام تعبير زراعى مقترن بتعبير ملاحى، **وكذلك استعارة تصريحية واحدة.**

والفقرة الثالثة: من خلال توضيح الفرق بين موت الشاب وموت الشيخ، وتشبيه نفسه بالملاح عند اقترابه من الموت، **وقد تم استخراج تشبيه واحد واستعارة مكنية واحدة.**

والفقرة الرابعة: من خلال الحديث عن الشيخوخة، وأنها فترة من فترات الحياة لا ينبغى أن تكون محفوفة بالمتاعب، بل يجب الاستمتاع بها على أكمل وجه، **وقد تم استخراج تشبيه واحد واستعارة مكنية واحدة.**

وبذلك يكون إجمالى التشبيهات والاستعارات الملاحية في محاورة "عن الشيخوخة" كالآتى: **ثلاثة تشبيهات، وثلاث استعارات مكنية، واستعارة تصريحية واحدة.**

قائمة بالاختصارت

Quint. Inst. Orat.	Quintilian., Institutio Oratoria.
Rhet ad Her.	Rhetorica ad Herennium.
Cicero	De Senectute.
AJPh	American Journal of Philology.
CPh	Classical Philology.
CR	Classical Review.
CW	Classical Weekly.
JAS.	Journal of Aging Studies.
JE.	Journal of Education.
L.C.L.	Loeb Classical Library.
MDATC.	Materiali e discussioni per l' analisi dei testi classici.
OCD	The Oxford Classical Dictionary.

المصادروالمراجع

المصادر:

Aristotle., (1959), Art of Rhetoric, edit and trans. by Freese. J.H., L.C.L. London.

Idem, (1995), Poetics, edit and trans. by Halliwell. S., L.C.L. London.

Cicero., (1922), De Senectute, De Amicitia, De Divinatione. edit and trans. by Falconer. W. A., L.C.L. London.

Homer., (1924), The Odyssey, edit and trans. by Murray. A.T., L.C.L., London.

Quintilianus, (1968), Inistitutio Oratoria, Libri IV, edit and trans. by Butler. H.E., L.C.L. London.

Rhetorica ad Herennium., (1964), Libri IV De Ratione Dicendi (M. Tulli Ciceronis ad Herennium Libri VI) edit and trans. by Caplan. H., L.C.L. London.

المراجع الأجنبية:

Allen. k., (1999), *"Cicero: De Senectute"*, CW, 83, no. 12, pp. 94-95.
Allen. k., (1998), *"Note on Cicero, De Senectute 51 and 61"*, AJPh, 119, no. 4, pp. 437-438.
Bouson. R., J., (1980), *Metaphor and Simile*, Ph. D, Illinois Univ.
Brooke. R. Ch., (1998)., *A Grammar of Metaphor*, London.
Croft. W., (2003), *The Role of Domains in the Interpretation of Metaphors and Metonymes*, edited by: Drivend, R., Ralf Pörings, Mounton de Gruyter, Berlin-New York.
Deignan. A., (2005), *Metaphor and Corpus Linguistics*, Philadelphia and Amesterdam: Jhon Benjamins.
Driven. R., (2009), *Metonymy and Metaphor: Different Mental Strategies of conceptualization*, New York.
Evans. W., (1981), *"De Senectute"*, CR, 85, no. 6307, pp. 1642-1646.
Farmer. V., (1918), *Roman Farm Management*. The Treatises of Cato and Varro. Done into English, with Notes of Modern Instances. The Macmillan Company. New York.
Hollander. D. B., (2019)., *Farmers and Agriculture in the Roman Economy*. Columbia University.
Jal. Press. Inc., (1993), *"Psychological Adaptation and Virtue: Geropsychological Perspectives on Cicero's De Senectute"*, JAS, 7, no. 4, pp. 353-359.
James. M., (2002), *Brill's Companion to Cicero. Oratory and Rhetoric*. Brill. Leiden. Boston.
Knights. L., Cottle. B., (1980), *Metaphor and Symbol*, London.
Maguinness. W. S., (1984), *"Two Notes on Cicero, De Senectute"*, CR, 88, no, pp. 211-212.
Peabody. A. P., (1984), *Cicero De Senectute. (On Old Age).* Translated. with an Introduction and Notes. Cabmridge.
Perkins. R. L., (1995), *Cicero's "Concerning Old Age"*, JE, 122, no. 10, pp. 283-284.
Punter. D., (2007), *Metaphor, Routledge*, London and New York.
Russo. Federico., (2009)., *"L'elogio delle voluptates agricolarum nel Cato Maior di Cicerone"*, MDATC. 62. pp.77-103.
Taylor. R., (2003), *Category Extension by Metonymy and Metaphor*, edited by Drivend.R., Ralf. P. Mounton de Gruyter.Berlin, New York.
Thornton C. L., (2018), *Defining Friendship in Cicero's De Amicitia.* Quinnipiac University.
Throop. G. R., (1991),*"Cicero's De Senectute, section section 10 and 37"*, CPh, 86, no. 4, pp. 483-484.

Throop. G. R., (1998), *"A New Manuscript of Cicero's De Senectute"*, CPh, 93, no. 3, pp. 285-301.
Tolf. J. S., (1999), *Patterns of Imagery In Ciceronian Invective*. University of Washington.

مواقع إلكترونية:

https://en.wikipedia.org/wiki/Metaphor.
http://classics.mit.edu/Aristotle/heavens.1.i.html.
https://mawdoo3.com.
https://www.hoqoool.com.

المراجع العربية:

أحمد الهاشمى (٢٠١٧)، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوى للطبع والنشر، القاهرة.

أحمد عبد الرحيم أبو زيد (١٩٩٤)، عن الصداقة لشيشرون، مهرجان القراءة للجميع، (مكتبة الأسرة)، القاهرة.

أحمد عتمان (١٩٩٠)، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري. العصر الفضي، ط١، أيجيبتوس، القاهرة.

الجاحظ (١٩٩٨)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ج١، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة.

السكاكي (١٩٩٠)، مفتاح العلوم، مكتبة البابى الحلبى، ط٢، القاهرة.

تيرنس هوكس (٢٠١٦)، الاستعارة، ترجمة: عمرو زكريا عبد الله، مراجعة: محمد بريري، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

عبد القادر الجرجاني (١٩٨٩)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة.

علي عبد التوب علي، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتيني في عصري الجمهورية وصدر الإمبراطورية، قراءة في الأجناس الأدبية, القاهرة.

مافي محمد محمد أحمد (٢٠٢١)، "دراسة في الأسلوب الأدبي لقصيدة "فن الشعر" للشاعر هوراتيوس"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة القاهرة.

مصطفى الحويني (٢٠٠٢)، البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، منشأة المعارف الإسكندرية، القاهرة.

ناصر حارس (٢٠١٦)، "الصورة الفنية والغرض الشعرى في إليجيات بروبرتيوس"، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة سوهاج.